المقدمة

وتشتمل على:

- أهمية الموضوع، وأسباب اختياره.
- أهداف البحث.
- الدراسات السابقة.
- خطة البحث.
- منهج البحث.

المقدمة

إنّ الحمدَ لله، نحمَدُه، ونستَعينُه، ونستَغفِرُه، ونعُوذُ بالله من شرورِ أنفُسِنا، ومن سيّئاتِ أعمالنا، من يهدِهِ اللهُ فلا مُضِلَّ له، ومن يُضْلِلْ فلا هادِيَ له، وأشْهَدُ أن لا إله إلاّ اللهُ وحدَه لا شريكَ له، وأشهدُ أنّ محمداً عبدُه ورسولُه، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ (١)، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ (٢)، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ (٣).

أمّا بعدُ:

فإنّ الله ﷻ قد أكرَمَ هذه الأمةَ الوسَطَ بكتابٍ ﴿لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ﴾ (٤)، وهو حبلُ الله المتين، وصراطُه المستقيم ﴿يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ (٥)، والاشتغالُ به تلاوةً وتدبُّراً وتعلُّماً وتعليماً من أفضلِ القُرُبات، وأولَى ما تُصْرَفُ فيه الأوقات.

وعلمُ التفسير أحدُ علومِ القرآن، وهو من أجَلِّها؛ لما فيه من الوقوف على معاني كتاب الله ﷻ، ومعرفة مُراده منه، وأصحُّ الطُّرُقِ في ذلك تفسيرُ القرآنِ بالقرآن؛ فما أُجمِلَ في مكانٍ فإنّه قد بُسِطَ في موضعٍ آخر، ثمّ تفسيرُه بالسنّة؛ فإنّها شارحةُ القرآنِ، وموضِّحةٌ له (٦).

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٠٢.

(٢) سورة النساء، الآية: ١.

(٣) سورة الأحزاب، الآيتان: ٧٠- ٧١.

(٤) سورة فصلت، الآية: ٤٢.

(٥) سورة المائدة، الآية: ١٦.

(٦) انظر: مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية ص (٨٢).

فإن لم نجِدِ التفسيرَ في القرآن ولا في السنّة رجَعْنا إلى أقوالِ الصحابة؛ "فإنّهم أدْرَى بذلك؛ لما شاهَدُوه من القرآن والأحوال التي اختَصُّوا بها، ولما لهم من الفهْم التامّ والعلم الصحيح" (١)، والصحابة اجْتَمَعُوا برسولِ الله ﷺ، وخَلُوا من معينِه الصافي، ونقلُوا عنه القرآنَ لفظاً ومعنىً، فلهُم شرَفُ الصُّحْبة والمساءَلة والمجالَسة لرسول الله ﷺ، ومدرستُهم هي المدرسة الأولى التي تخرَّجَتْ على يدِ مُعلِّم البشَريّة الرسول ﷺ، واسْتَمَدَّتْ منْهَجَها وسُلوكَها منه ﷺ، وهم خيرُ القرون وأفضلُ الأجيال التي يُمكن أن يُقْتَدَى بها في التفسير وغيره، وقد شَهِدَ لهم بهذا الفضْل والخيريّة الكتابُ والسنةُ، قال تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ (٢).

وقال رسولُ الله ﷺ: "خيرُ الناسِ قَرْني، ثمّ الذين يَلُوْنَهُم، ثمّ الذين يَلُوْنَهم" (٣).

فكان حَريّاً بنا أن نعِيشَ معَهم، ونقرَأَ في سيرتهم وآرائهم، ونَنْهلَ من معينِهم الصافي، ومن هذا المنطلق أحبَبْتُ أن يكونَ لي شرَفُ المشاركة في جمْع ودراسة أقوال واحدٍ منهم، فرَغِبْتُ مُستعيناً بالله في جمْع أقوالِ الصحابيّ الجليل والمفسِّر الشهير عبد الله بن الزبير ﷺ؛ فله أقوالٌ كثيرة في التفسير، والقراءات، والمكي والمدني، وأسباب النزول تكفي كمادّةٍ علميّةٍ لرسالةِ الماجستير إن شاءَ الله تعالى.

أهمية الموضوع، وأسباب اختياره:

تَتَّضِح أهمّيّةُ هذا الموضوع من خلالِ ما يلي:

- أهميّة تفسير الصحابة؛ فإن أَولَى ما يُفسَّرُ به القرآن الكريم بعدَ الكتاب والسنة هو ما أُثِرَ عن الصحابة؛ لقُربِهم من رسولِ الله ﷺ، ومُعاصَرَتِهم نزولَ الوحْي؛ ولما لهم من الفهْم التامّ، والعلم الصحيح.

(١) المرجع السابق ص (٨٤).

(٢) سورة التوبة، الآية: ١٠٠.

(٣) أخرجه البخاريّ في صحيحه/ كتاب: فضائل الصحابة/ باب: فضائل أصحاب النبيّ ﷺ/ رقم (٣٤٥١)، مسلم في صحيحه/ كتاب: فضائل الصحابة/ باب: فضل الصحابة/ رقم (٢٥٣٣) من حديث عبد الله بن مسعود ﷺ.

- الحاجةُ إلى جمْعِ تفاسير الصحابة ودراستِها؛ لمعرفةِ صحيحِها من غيره، ولا شَكَّ أنَّ في هذا الأمر فائدةً عظيمةً، ومنهم عبد الله بن الزبير ﷺ.
- مكانةُ الصحابيّ الجليل عبد الله بن الزبير ﷺ، وخاصّةً في التفسير، فهو أحدُ المشتَهِرينَ بالتفسير من الصحابة.
- كثرةُ المنقول عن عبد الله بن الزبير ﷺ في التفسير، وما يتَّصل به، فقد بلغَ مجموعُ أقواله - فيما وقفتُ عليه - مائتَينِ وثمانية وسبعينَ (٢٧٨) قولاً.
- أنّ فيه جمْعاً لما تفرَّقَ من أقوالِ عبد الله بن الزبير ﷺ في تفسير القرآن الكريم.

أهداف البحث:

وهي كالآتي:

- جمعُ أقوالِ عبد الله بن الزبير ﷺ في تفسير القرآن الكريم من أول القرآن إلى آخره في سفرٍ واحدٍ.
- بيانُ الصحيح من أقوال عبد الله بن الزبير ﷺ والسقيم، وذلك من خلالِ دراسةِ أسانيد الأقوال المسندة.
- دراسةُ أقوال عبد الله بن الزبير ﷺ في تفسير القرآن الكريم دراسةً تحليليّةً مقارنةً.
- إبرازُ منهج عبد الله بن الزبير ﷺ في تفسير القرآن الكريم، وبيانُ مميّزاتِ تفسيره.

الدراسات السابقة:

بعدَ البحث والتحرّي، والرجوع إلى بعضِ المراكز العلمية والمكتبات والجامعات، وسؤالِ المتخصِّصين تبيَّنَ لي أنّ تفسيرَ عبد الله بن الزبير ﷺ لم يُسَجَّلْ في رسالةٍ علميةٍ أو في كتابٍ مستقلٍّ، ولم يُبحَثْ، فأرجُو أن أُوَفَّقَ في هذه الدراسة لخدمةِ هذا الجانب.

أما ما وقفتُ عليه من دراساتٍ تتعلّق بعبد الله بن الزبير ﷺ في جوانب أخرى، فمن أهمِّها ما يلي:

- عبد الله بن الزبير فقيهاً، رسالةُ ماجستير، إعداد: محمد عبد الرضا هادي، جامعة صدّام للعلوم الإسلامية، ١٩٩٧م.
- فقه عبد الله بن الزبير (دراسة مقارنة)، رسالةُ دكتوراه، إعداد: عبد العزيز بن حمود التويجري، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤١٢هـ.

- عبد الله بن الزبير، ومنهجه في الدعوة، رسالةُ ماجستير، إعداد: تميم بن محمد بن سالم الدوسريّ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٠٥هـ.
- عبد الله بن الزبير ﷺ، وأسرته، لمحمود شاكر، ط: ١، ١٤١٩هـ، المكتب الإسلاميّ، بيروت.

خطّة البحث:

تتكوَّن الخطّةُ من مقدّمة، وتمهيد، وقسمَينِ، وخاتمة.

المقدّمة: وتشتَمِل على أهمّيةِ الموضوع، وأسبابِ اختياره، وأهدافِه، والدراساتِ السابقة، وخطةِ البحث، ومنهجي فيه.

التمهيد: وتحتَه ثلاثةُ مباحث:

المبحث الأول: مكانةُ تفسير الصحابة، وحكمُ الاحتجاج بأقوالهم في التفسير.

المبحث الثاني: موقفُ المفسِّرين من أقوالِ الصحابة في العقيدة.

المبحث الثالث: عبدُ الله بن الزبير ﷺ ومكانتُه في التفسير، وتحتَه أربعةُ مطالب:

المطلب الأول: اسمُه، ونسبُه، ومولدُه.

المطلب الثاني: نشأتُه، ووفاتُه.

المطلب الثالث: مناقبُه.

المطلب الرابع: مكانتُه في التفسير، وأشهرُ من رَواه عنه.

القسم الأول: منهجُه في تفسير القرآن الكريم، وتحتَه ثمانيةُ فصول:

الفصل الأول: تفسيرُه القرآنَ بالقرآن.

الفصل الثاني: تفسيرُه القرآنَ بالسنّة.

الفصل الثالث: تفسيرُه القرآنَ بلُغةِ العرب.

الفصل الرابع: الأسانيدُ إلى عبد الله بن الزبير ﷺ، والمقبولُ منها والمردودُ.

الفصل الخامس: مصادرُ عبد الله بن الزبير ﷺ في التفسير.

الفصل السادس: عنايتُه بعلومِ القرآن، وتحتَه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: عنايتُه بالقراءات.

المبحث الثاني: اهتمامُه بأسبابِ النزول.

المبحث الثالث: عنايتُه بالمكي والمدني.

الفصل السابع: مميِّزاتُ تفسيرِه.

الفصل الثامن: أثرُ أقوالِه فيمن بعده.

القسم الثاني: جمْعُ أقوالِ عبد الله بن الزبير ﷺ في تفسير القرآن الكريم من أول القرآن إلى آخره، ودراستُها.

الخاتمة: وفيها بيانٌ لأهمِّ النتائج التي توصَّلْتُ إليها من خلالِ البحث.

الفهارس:

- فهرسُ الآيات القرآنية.
- فهرسُ القراءات القرآنية.
- فهرسُ الأحاديث النبوية.
- فهرسُ الآثار.
- فهرسُ الأعلام المتَرجَم لهم.
- فهرسُ الأبيات الشعرية.
- فهرسُ الكلمات الغريبة والمصطلحات.
- فهرسُ الغزوات والوقائع.
- فهرسُ الفرق والقبائل.
- فهرسُ البلدان والأماكن.
- فهرسُ المصادر والمراجع.
- فهرسُ الموضوعات.

منهج البحث:

سأسْلُكُ في هذا البحث المنْهَجَ الاستِقْرائيّ التحليليّ وفقَ الآتي:

- أقومُ بجمْعِ أقوالِ عبد الله بن الزبير ﷺ في تفسير القرآن الكريم الموقوفة عليه من أول القرآن إلى آخره من مظانِّها مع مُراعاةِ تقديمِ ما جاءَ في كتُب التفسير إن كانتْ مسندَةً؛ لتعلُّقِ الدراسة بكتُب التفسير.

- أرتِّبُ أقوالَ عبد الله بن الزبير ﷺ في تفسير السور والآيات وفقَ ترتيبِ المصحف.
- أبدأُ بكتابة الآية كاملةً قبل ذكر قولِ الصحابيّ سواءٌ أَكان تفسيرُه شاملاً للآية التي أوردُها، أم لجزءٍ منها.
- عندَ تعدُّدِ أقوالِ عبد الله بن الزبير ﷺ في آيةٍ واحدةٍ أذكُرُ الآيةَ عند أوّل قولٍ فقط.
- أكتُبُ الآياتِ القرآنيّةَ بالرسم العثماني مع بيانِ أرقامها، وعزْوِها إلى سورها.
- أُثبِتُ قولَ عبد الله بن الزبير ﷺ في المتن في أعلى الصفحة، وأذكرُ المرجع وكلَّ ما أُعلِّقُ على الأثر من دراسةٍ، وترجمةٍ، وتعريفٍ، وشرحِ غريبٍ، إلى غير ذلك في الهامش.
- أجمعُ كلَّ الأقوال المنسوبة لعبد الله بن الزبير ﷺ سواءٌ أُذْكِرَتْ مُسنَدةً أم بغير الإسناد.
- إذا تعدَّدَتِ المصادر التي أوردتْ قولَ ابن الزبير ﷺ فإنّي أنقلُه ممّا كانَ مؤلفه أقدمَ وفاةً إلاّ إذا كان الأثرُ عند المتأخِّر أوفَى أو أوضَحَ فإنّي أقدِّمُه في النقل منه.
- إذا تكرَّرَ الأثرُ، وكان فيه زيادةُ معنىً أو فائدةٍ فإنّي أنقُلُه أيضاً في المتن.
- أخرِّجُ أقوالَ عبد الله بن الزبير ﷺ، وأوَثِّقُها، وأُحاوِلُ التَقَصّي في التخريج.
- أُرتِّبُ المراجعَ التي أوردتْ قولَ ابن الزبير ﷺ حسبَ الترتيب الزمنيّ لوفيّاتِ مؤلّفيها، وأبدَأُ بالكتُب المسندَة، ثمّ غير المسندَة.
- أضعُ كلَّ أثر في صفحةٍ مستقلّةٍ.
- أُرقِّمُ الآثارَ ترقيماً تسلسليّاً؛ وذلك لمعرفةِ عدد الآثار المرويّة عن عبد الله بن الزبير ﷺ، وليسْهُلُ الرجوعُ والإحالةُ إليه عند الحاجة.
- إذا ورَدَ الأثرُ بلا إسنادٍ، وأُحيلَ إلى مصدر -كما في الدر المنثور- فإنّي أبذُلُ الجُهدَ للبحث عنه مُسنداً، ومن ثمّ دراسة ذلك الإسناد، والحكم عليه.
- أقومُ بدراسةِ أسانيد الأقوال المسنَدة بتَتَبُّعِ رجالها ابتداءً من شيخِ المصنّف حتّى الراوي عن عبد الله بن الزبير ﷺ تحتَ عنوان (دراسة الإسناد)، وذلك على النحو التالي:
  - ❖ أترجمُ للراوي ترجمة مختصرة من خلال اسمه، ونسبه، وكنيته، وتاريخ وفاته إن وُجِد، وأقوالِ العلماء فيه، ومن أخرَجَ له من أصحابِ الكتُب الستّة إذا كان الرواي من رجالِ أصحاب الكتُب الستة.

❖ إذا كانَ الراوي متَّفَقاً على توثيقه أو تضعيفه أكتَفي في ذلك بأقوالِ ثلاثة من الأئمّة، وإذا كانَ مختلَفاً في توثيقه وتضعيفه فأذكُرُ أقوالَ بعضٍ من وثَّقَه وبعض من جرَّحَه، وفي كلتا الحالتين أختِمُ الأقوالَ بما قالَه ابنُ حجر.

❖ إذا كان أحدُ رجالِ الإسناد من الأئمّة الكبار فأكتَفي في توثيقه بما قالَه ابنُ حجر.

❖ أحكُمُ على الإسنادِ في ضوءِ ما قالَه ابنُ حجر إن وُجِدَ له قولٌ في رُواةِ الإسناد.

❖ أذَيِّلُ كلَّ ترجمة بجُملة من المصادر التي ذكرتْ تلك الترجمة.

❖ إذا تكرَّرَ الإسنادُ فإنّي أُحيلُ إلى مكانِ دراسته أول مرّة مع ذكر خُلاصة الحُكم فيه.

❖ إذا تكرّرَ أحدُ رجالِ الإسناد فإنّي أذكُرُ خلاصةَ القول فيه، وأُحيلُ إلى موضعه الأوّل.

❖ أذكُرُ الشواهدَ والمتابَعات التي يتقَوَّى بها الإسنادُ إن وُجِدَتْ.

❖ أبيِّنُ درجةَ الإسناد المدروس بحسب خُلاصة القول في أحوال رُواته معتبراً بأقوال من سبَقَ من العلماء.

- أقومُ بدراسةِ أقوالِ عبد الله بن الزبير ﷺ دراسةً تفسيريّةً، تحتَ عنوان (دراسة الأثر).
- أضعُ أحياناً عنواناً للمسألة، ثمّ أدرُسُها تحت ذلك العنوان إذا كان الأثرُ المنقولُ عن عبد الله بن الزبير ﷺ تَضَمَّنَ أكثرَ من مسألة.
- أجمعُ أحياناً بينَ قولَينِ فأكثر في الدراسة والتعليق عليها إذا كانتْ تلك الأقوال مرتبطةً بعضُها ببعض، وموضوعُها واحد.
- أقارِنُ بينَ أقوالِ عبد الله بن الزبير ﷺ وأقوالِ غيره من الصحابة والتابعين ومن بعدَهم.
- أذكُرُ أقوالَ أهلِ العلم في المسألة، وأدلَّتَهم إن وُجِدتْ، ومن ثمّ الجمْع – إن أمْكنَ – أو الترجيح بالدليل أو التعليل.
- أُدعِّمُ الترجيحَ بأقوالِ أهل العلم إن وُجِدَتْ، وأُرتِّبُهم على الوفيّات.
- لا ألتزِمُ بإيراد كلِّ الأقوال في المسألة، بل أكتَفي بالمشهور منها.
- أذكُرُ غالباً جملةً من المراجع في نهايةِ دراسةِ كلّ أثر، وأرَتِّبُها على وفيّاتِ أصحابها، ولا أذكُرُ مرجعاً أثناءَ الدراسة إلاّ إذا كان الكلامُ منقولاً بالنصِّ أو تخريجَ حديثٍ أو أثر أو نحو ذلك.

- أغفلُ ذكرَ المعلوماتِ التفصيليّةِ عن المصادر والمراجع أثناءَ البحث اكتِفاءً بذكرِها في الفهارس إلاّ عندَ استخدام غير الطبعة المعتمَدة في البحث، فأشيرُ في الهامش بما يميِّزُه.
- أُحِيلُ أقوالَ أهل العلم إلى مواضعها في كتُبهم إن وُجِدَتْ، أو إلى المراجع المعتبَرة في نقل أقوالهم عند عدمها.
- أخرِّجُ الأحاديثَ من الكتُب المعتمَدة في ذلك، فإن كان الحديثُ في الصّحيحَينِ أو في أحدهما أكتَفي به؛ لصحَّتِهما، فإن لم يكنْ فيهما أو في أحدِهما فإنّي أخرِّجُه من مظانّه في كتُبِ الحديث الأخرى، وأنقُلُ كلامَ أهلِ العلم عليه بالقبول أو الردّ إن وُجِد.
- عند الإحالة إلى الكتُب الستّة أذكُرُ الكتاب والباب ورقم الحديث، وفي غيرها أذكرُ الجزء والصفحة ورقم الحديث إلاّ إذا كانت الإحالة إلى الكتب الستّة في تخريج قولٍ لعبد الله بن الزبير ﷺ، فأذكر الجزء والصفحة ورقم الحديث مثل الكتُب الأخرى.
- فيما يتعلَّق بموقفِ المفسِّرين من أقوالِ الصحابة في العقيدة أقتَصِرُ على من تأثَّرَ بمذهبِ الأشْعَري والماتُرِيْدي؛ لشُهْرةِ تفاسيرهم، ولانْتِسابِهم إلى أهلِ السنّة، وأُبيِّنُ الموقفَ الصحيح في ضوءِ عقيدة أهلِ السنّة والجماعة.
- أعرِّفُ بالأعلامِ غيرِ الواردة في الأسانيد، والأماكن – غير المشهورة –، والفِرَق والبُلدان والقبائل، وكلّ ذلك بإيجازٍ في أوّل موطنٍ يرِدُ فيه ذكرُها إلاّ إذا كان هناك داعٍ إلى التأخير.
- أشرَحُ الكلماتِ الغريبة التي تحتاجُ إلى بيانٍ من كتُب اللُّغة.
- أبيّن المصطلحاتِ من مراجعِها المتخَصِّصة.
- أنسِبُ الأبياتِ الشعْريّة إلى قائليها، وأوَثِّقُها من مصادرِها.
- أُذَيِّلُ البحثَ بمجموعة من فهارس تساعدُ الباحثَ للوصول إلى مواده بيُسرٍ وسهولةٍ.

○○○○○

كلمة الشكر والتقدير:

أحمدُ الله ﷻ حمداً كثيراً، وأشكرُه شكراً مزيداً على ما امْتَنَّ به عليّ من نِعَمِه العظيمة وآلائِه الجسيمة، منها التوفيق لاختيار هذا الموضوع، ثمّ الإعانة على إتمامِ البحث فيه، فله الحمدُ كلُّه، وله الشكر كلُّه، له الحمدُ والشكرُ كما يليقُ بجلالِ وجهه، وعظيمِ سلطانه.

وأُثَنِّي بالشكر والتقدير لوالدَيَّ الكريمَينِ الذَينِ سهَرَا على تربيتي، وواظَبا على الدعاء لي، أسأَلُ الله ﷻ أن يُمتِّعَهما بالصحة والعافية، ويُجنِّبَهما كلّ شر، ويرحَمَهما كما ربَّياني صغيراً، ويَجْزِيَهما عنّي خيرَ الجزاء وأوفَرَه.

ثمّ أتقدَّم بالشكر الجزيل للقائِمِينَ على جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وعلى رأسِهم معالي مدير الجامعة، وللمسئولينَ في كلية أصول الدين، وعلى رأسِهم فضيلة عميد الكلية ووكيلاه، وأخصُّ بالشكر رئيسَ قسم القرآن وعلومه، ووكيلَه على ما أتاحُوا لي من فُرْصة إكمالِ الدراسة، وهيَّئُوا لي فيها كافةَ السُّبُل، فشكرَ اللهُ لهم جميعاً، وأجزَلَ لهم المثوبةَ، ورَفعَ درجاتِهم في الدنيا والآخرة.

كما أتقدّم بوافر الشكر والتقدير لشيخي الكريم الأستاذ الدكتور/ محمد بن سريع بن عبد الله السريع – حفظه الله ورعاه – على تفضُّلِه بالإشراف على هذه الرسالة، ثمّ متابعته وتوجيهاته القيِّمة في جميع مراحلِ البحث رغمَ ضيقِ وقته، وكثرة مشاغله، فكان نعْمَ المشرف، ونعْمَ الموجِّه، وكان مثالاً صادقاً للمشرف الناصح، أسألُ الله تعالى أن يُبارِكَ في علمِه وعُمْرِه، ويجعلَ ذلك كلّه في ميزانِ حسناته، ويجزِيَه خيرَ ما جَزَى شيخاً عن تلميذِه.

والشكر موصولٌ إلى صاحبَي الفضيلة الشيخينِ الكريمينِ المناقشَينِ الأستاذ الدكتور/ عبد الرحمن بن ناصر اليوسف – حفظه الله ورعاه –، والدكتور عبد العزيز بن محمد السحيباني – حفظه الله ورعاه – على تفضُّلِهما بقبول مناقشة هذه الرسالة، وعلى ما أمضياه من جُهدٍ ووقتٍ في تقويمها وتسديها، وإبداءِ الملحوظات النافعة والتوجيهات المفيدة حولَها, فأسألُ اللهَ تعالى أن يباركَ في علمهما وعمرهما، وينفَعَ بهما، ويجزِيَهما بذلك خيرَ الجَزاء.

ولا أنْسَى في هذا المقام الشكرَ الجزيلَ لكلِّ من أعانَني على إعدادِ هذه الرسالة بأيّ وجهٍ كانَ من نُصحٍ، أو توجيهٍ، أو تصويبٍ، أو إعارةٍ، أو دعاءٍ، أو غير ذلك, وأخُصُّ بالشكر فضيلةَ الشيخ/ سعد بن عبد الله الموسى، وفضيلة الشيخ/ إبراهيم بن ناصر المهوّس، والأخ

الفاضل/ أحمد بن عبد الرحمن الموسى الذين لهم الفضلُ الكبيرُ بعدَ الله ﷻ في إنجازِ بحثي، أسألُ اللهَ تعالى أن يجْعلَ ذلك في موازينِ حسناتِهم، وأن يُمِدَّهم بأسبابِ السعادة والفلاح في الدنيا والآخرة، ويُعْطِيَهم من خيرَيِ الدارينِ.

وأخيراً، هذا جهْدُ المقِلّ، بذلتُ ما بوُسْعي في حدود علمي وفهْمي، فما كان من صوابٍ فمن الله، وما كان من خطأ فمن نفسي والشيطان، واللهُ ورسولُه منه بريئانِ، وأستغفر الله وأتوب إليه، أسألُ اللهَ ﷻ أن يتقبَّلَ هذا الجُهْدَ المتواضعَ، ويجْعلَه خالصاً لوجهه الكريم، وصلَّى اللهُ وسلم على نبيّنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

○○○○○

التمهيد:

وتحته ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: مكانة تفسير الصحابة، وحكم الاحتجاج بأقوالهم في التفسير.

المبحث الثاني: موقف المفسرين من أقوال الصحابة ﷺ في العقيدة:

المبحث الثالث: عبد الله بن الزبير ﷺ، ومكانته في التفسير، وتحته أربعة مطالب:

المطلب الأول: اسمه ونسبه ومولده.

المطلب الثاني: نشأته ووفاته.

المطلب الثالث: مناقبه.

المطلب الرابع: مكانته في التفسير، وأشهر من رواه عنه.

المبحث الأول: مكانة تفسير الصحابة، وحكم الاحتجاج بأقوالهم في التفسير:

أولاً: مكانة تفسير الصحابة:

الصحابة خيرُ القرون، اختارَهم الله لصحبة نبيّه ﷺ، وهم أرقُّ الناسِ قلوباً، وأعمقُهم علماً، وأبعدُهم عن التكلُّف، حفِظَ اللهُ بهم الدين، ونشَرَه بهم في العالمين، وقد جاءَ في مواضع عدّة من الكتاب والسنّة ما يشهَدُ بفضْل الصحابة على من عداهم من الثَّقَلَينِ سوى النبيّينَ والمرسلينَ، قال تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا﴾ (١)، قال عليه الصلاة والسلام: "لا تسُبُّوا أصْحابي، لا تسُبُّوا أصْحابي، فوالذي نفسي بيدِه، لو أنَّ أحَدكم أنفَقَ مثلَ أُحُدٍ ذهباً ما أدرَكَ مُدَّ أحدِهم ولا نَصِيفَه" (٢)، إلى غير ذلك ممّا يدُلُّ على فضْل الصحابة.

كما تميَّزَ صحابةُ رسول الله ﷺ بالفضْل والمكانة تميَّزَ تفسيرُهم بالأفضليّة والتقديم، فاحتَلَّ الدرجة الثالثة من أحسنِ الطُّرُق لتفسيرِ القرآن، وصارَ المصدرَ الثالث من مصادر التفسير، قال ابنُ تيمية (٣): "فإن قال قائلٌ: فما أحسنُ طُرُقِ التفسير؟ فالجوابُ: إنّ أصحَّ الطُّرُقِ في ذلك أن يُفسَّرَ القرآنُ بالقرآن، فما أُجمِلَ في مكان فإنّه قد فُسِّر في موضع آخر، وما اختُصِرَ في مكان فقد بُسِطَ في موضع آخر، فإنْ أعياكَ ذلك فعليك بالسنّة؛ فإنها شارحة للقرآن، وموضّحة له ...، وحينئذٍ إذا لمْ تجدِ التفسيرَ في القرآن ولا في السنّة رَجَعْتَ في ذلك إلى أقوالِ

---

(١) سورة الفتح، الآية: ٢٩.

(٢) أخرجه البخاريّ في صحيحه/ كتاب: فضائل الصحابة/ رقم (٣٤٧٠)، مسلم في صحيحه/ كتاب فضائل الصحابة/ باب تحريم سب الصحابة ﷺ/ رقم (٢٥٤٠)، واللّفظ لمسلم.

(٣) أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن تيمية الحَرَّاني الدمشقيّ الحنبليّ، أبو العباس، الإمام، توفي سنة ثمان وعشرين وسبع مائة.
انظر: البداية والنهاية (١٤/ ١٣٥)، الدرر الكامنة (١/ ١٦٨) رقم (٤٠٩).

الصحابة، فإنّهم أدْرَى بذلك؛ لما شاهدُوا من القرآن، والأحوال التي اختَصُّوا بها، ولما لهم من الفهم التامّ والعلم الصحيح ...". اهـ. (١).

ولا عجَبَ أن حَظِيَ تفسيرُ الصحابة بهذه المكانة، فهم أعلمُ النّاسِ بتفسيرِ كتاب الله ومرادِه منه بعدَ رسولِ الله ﷺ (٢)، فعن ابن مسعود ﷺ (٣) أنّه قال: والذي لا إله غيره، ما نزلتْ آيةٌ من كتابِ الله إلاّ وأنا أعلمُ فيمنْ نزلتْ، ولو أعلمُ مكانَ أحدٍ أعْلمَ بكتابِ الله منّي تنالُه المطايا لأَتَيْتُه (٤).

وعنه ﷺ أيضاً قال: كانَ الرجلُ مِنّا إذا تعلَّمَ عشْرَ آياتٍ لم يُجاوِزْهُنّ حتَّى يَعْرِفَ مَعانيهِنّ والعملَ بهِنّ (٥).

ومن بينهم عبد الله بن عباس ﷺ (٦) ترجمانُ القرآن، فكلُّ ذلك يدلُّ على أنّ الصحابة أعلمُ الناسِ بكتابِ الله مع كونهم في هذا العلم بينَ مُكْثِرٍ ومُقِلٍّ.

وهناك عدّةُ أمورٍ تُبيِّنُ أهميةَ تفسير الصحابة، وتبرزُ مكانتَه، وهي:

١ – أنّهم اجتَمعُوا برسولِ الله ﷺ ونَهِلُوا من معينه الصافي، فكانوا إذا أشكلَ عليهم شيءٌ من القرآن رجَعُوا فيه إلى الرسول ﷺ، فبيَّنَ ﷺ لهم ما أشكَلَ عليهم من ألفاظه، وما خفِيَ عليهم من معانيه (٧).

---

(١) مقدمة في أصول التفسير ص (٨٢).

(٢) انظر: المرجع السابق ص (٨٤)، التبيان في أقسام القرآن ص (١٤٣).

(٣) عبد الله بن مسعود بن غَافِل الهُذَلِيُّ، يُكَنَّى أبا عبد الرحمن، شَهِدَ بدْراً والمشاهدَ بعدَها، وكان من فقهاء الصحابة، مات سنة اثنتين وثلاثين، وقيل: غير ذلك.
انظر: الطبقات الكبرى (٣/١٥٠)، الإصابة (٤/٢٣٣) رقم (٤٩٥٧).

(٤) أخرجه بهذا اللفظ الطبريّ في تفسيره (١/٨٠) رقم (٨٣)، وأخرجه البخاريّ في صحيحه/كتاب: فضائل القرآن/ باب: القُرّاء من أصحاب رسول الله ﷺ/ رقم (٤٧١٦)، مسلم في صحيحه/كتاب: فضائل الصحابة/ باب: من فضائل عبد الله ابن مسعود ﷺ/ رقم (٢٤٦٣)، كلاهما بلفظ: (تَبْلُغُه الإبلُ لرَكِبْتُ إليه).

(٥) أخرجه الطبريّ (١/٨٠) رقم (٨١).

(٦) عبد الله بن عباس بن عبد المطّلب القرشيّ، أبو العبّاس الهاشميّ، ابنُ عمّ النبيّ ﷺ، حبْرُ الأمّة، وترجمانُ القرآن، الصحابيّ الجليل، لازَمَ رسولَ الله ﷺ، كُفَّ بصرُه في آخرِ عمره، توفي سنة ثمان وستين.
انظر: الطبقات الكبرى (٢/٣٦٥)، الإصابة (٤/١٤١) رقم (٤٧٨٤).

(٧) انظر: التفسير والمفسرون (١/٣٦).

فقد رَوَى أحمد بسنده عن أبي بكر ﷺ (١) أنّه قال: يا رسولَ الله، كيفَ الصَّلاحُ بعدَ هذه الآيــة ﴿ لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾ (٢)، فكلَّ سوءٍ عمِلْنا جُزِيْنا به؟ فقالَ رسولُ الله ﷺ: "غفَرَ اللهُ لكَ يا أبا بكر، أَلَسْتَ تَمْرَضُ؟ ألسْتَ تَنْصَبُ (٣)؟ أَلَسْتَ تَحْزَنُ؟ أَلَسْتَ تُصيبَكَ اللَّأْوَاءُ (٤)؟" قال: بلَى، قال: "فهُو ما تُجْزَونَ به" (٥).

إلى غيرِ ذلك من الأمثلة التي تُوضِّحُ لنا كيفَ كان الصحابة يسأَلُونَ النبيّ ﷺ فيما أشكَلَ عليهم من القرآن، فدَلَّ ذلك على أنّ كثيراً ممّا نُقِلَ عنهم في التفسير قد تَلقَّوْه عن رسولِ الله ﷺ.

٢- أنّهم شهِدُوا التنزيلَ، وعرَفُوا أحوالَه، وكان له أثرٌ كبير في عُلوِّ تفسيرهم، ومكانته وصحّته (٦).

وممّا يدلُّ على أهمية معرفة أحوال التنزيل ما ذكرَه السيوطيّ (٧)، وعزاه لأبي الشيخ (٨)

---

(١) عبد الله بن عثمان بن عامر بن كَعْب التَّيمِيّ القُرَشِيّ، أبو بكر الصّديق، أوّلُ الخلفاء الراشدين، وأوّلُ من آمنَ برسول الله ﷺ من الرجال، وأحدُ العشرة المشهود لهم بالجنّة، توفي سنة ثلاث عشرة.
انظر: الإصابة (١٦٩/٤) رقم (٤٨٢٠)، الأعلام (١٠٢/٤).

(٢) سورة النساء، الآية: ١٢٣.

(٣) تَنْصَب: تَتْعَبُ، والنَّصَبُ: التَّعَب والعَنَاء، نَصِبَ الرجلُ نَصَباً: أعْيا وتَعِبَ.
انظر: مقاييس اللغة (نصب) (٤٣٤/٥)، لسان العرب (نصب) (٧٥٨/١).

(٤) اللَّأْوَاءُ: الشدّة، وضيق المعيشة.
انظر: مقاييس اللغة (لأو) (٢٢٧/٥)، لسان العرب (لأي) (٢٣٧/١٥).

(٥) المسند (ط: مؤسسة الرسالة) (٢٢٩/١) رقم (٦٨)، قال محققو المسند: "صحيح بطُرُقه وشواهده". اهـ.

(٦) انظر: الموافقات (٣٣٨/٣)، التفسير والمفسرون (٤٥/١).

(٧) عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد الخُضَيرِيّ السيوطيّ، جلالُ الدين، إمام، حافظ، من أشهر مؤلفاته: الإتقان، والدر المنثور، والجامع الصغير، توفي سنة إحدى عشرة وتسع مائة.
انظر: حسن المحاضرة (٣٣٥/١)، الأعلام (٣٠١/٣).

(٨) عبد الله بن محمد بن جعفر أبو محمد، المعروف بأبي الشيخ، الحافظ، محدِّث أصبهان، صاحبُ التصانيف، توفي سنة تسع وستين وثلاث مائة.
انظر: تاريخ أصبهان (٥١/٢) رقم (١٠٥٥)، تذكرة الحفاظ (٩٤٥/٣) رقم (٨٩٦).

وابنِ مَردَوَيْهِ (١) والحاكم عن ابن عباس ﷺ قال: أُتِيَ برجُلٍ (٢) من المهاجرينَ الأوّلينَ وقد شَرِبَ، فأُمِر به أن يُجْلَدَ، فقال: لِمَ تَجْلِدُني؟ بيني وبينَك كتابُ الله، قال: وفي أيّ كتابِ الله تَجِدُ ألاّ أجْلِدَكَ؟ قال: فإنّ الله تعالى يقولُ في كتابه: ﴿ لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓاْ ... ﴾ (٣)، فأنا من الذين آمنُوا وعمِلُوا الصالحات، ثمّ اتَّقَوا وأحسَنُوا، شهدْتُ مع رسولِ الله ﷺ بَدْراً (٤) وأُحُداً (٥) والخَنْدَق (٦) والمشاهِدَ، فقال عمر (٧): ألاَ تَرُدُّونَ عليه؟ فقالَ ابنُ عباس: هؤلاء الآياتُ نزلتْ عُذْراً للماضينَ، وحُجّةً على الباقينَ، عذراً للماضينَ؛ لأنّهم لقُوا اللهَ قبلَ

(١) أحمد بن موسى بن مَردَوَيْه أبو بكر الأصبَهانيّ، الحافظ، محدِّثُ أصبهان، صاحبُ التفسير والتاريخ والأبواب والشُّيوخ، توفي سنة عشر وأربع مائة.
انظر: تاريخ أصبهان (٢٠٦/١) رقم (٢٩٧)، تذكرة الحفاظ (١٠٥٠/٣) رقم (٩٦٥).

(٢) هو قُدَامَة بن مَظْعُون القُرَشِيّ الجُمَحِيّ ﷺ، وقد جاءَ مُصَرَّحاً به في بعض الروايات.
انظر: مصنف عبد الرزاق (٢٤٠/٩- ٢٤٣) رقم (١٧٠٧٦)، السنن الكبرى للنسائي (٢٥٣/٣) رقم (٥٢٨٩)، السنن الكبرى للبيهقي (٣١٥/٨) رقم (١٧٢٩٣).

(٣) سورة المائدة، الآية: ٩٣.

(٤) بَدْر: ماءٌ مشهور بينَ مكة والمدينة، وقعتْ بها غزوةُ بدْر الكبرى في السنة الثانية، انتصَرَ فيها المسلمون وهم قِلّة على المشركينَ وهم كثرة، قُتِل فيها من المشركين سبعون، وأُسِر سبعون آخرون، واسْتُشْهِد من المسلمين أربعة عشر رجلاً.
انظر: المغازي للواقدي ص (١٩)، معجم البلدان (٣٥٧/١).

(٥) أُحُد: جبل على بُعد أربعة كم في الشمال الشرقي للمدينة، وقعتْ بها غزوة أُحُد في السنة الثالثة بين المسلمين ومشركي مكة، فكانتْ عدّةُ الشهداء من المسلمينَ سبعينَ رجلاً، وعدّةُ قتلى المشركين اثنينِ وعشرين رجلاً، وكان يومَ بلاءٍ على المسلمين.
انظر: المغازي للواقدي ص (١٩٩)، معجم البلدان (١٠٩/١).

(٦) وتُسَمَّى غزوة الأحزَاب، ذلك أنّ كفارَ قريش والأعرابَ واليهودَ تحزَّبُوا واتفقوا على غزْو المدينة في السنة الخامسة، وقيل: في السنة الرابعة، فأمرَ النبيّ ﷺ المسلمين بحفْر خنْدق يحولُ بين المشركين وبين المدينة بإشارةِ سلمان الفارسي ﷺ، وسمِّيَتِ الغزوةُ باسمه، وأرسلَ اللهُ على الأحزاب الرِّياحَ والبردَ ممّا اضطرَّهم إلى الرحيلِ عن المدينة.
انظر: المغازي للواقدي ص (٤٤٠)، تاريخ الطبري (٩٠/٢).

(٧) عُمَر بن الخَطَّاب بن نُفَيل القُرَشيّ العَدَوِيّ، أبو حَفْصٍ، أميرُ المؤْمِنين، وثاني الخُلَفاء الرَّاشِدين، أحدُ السَّابقين الأوّلين، وأحدُ العشرة المشهود لهم بالجنّة، توفي سنة ثلاث وعشرين.
انظر: الإصابة (٥٨٨/٤) رقم (٥٧٤٠)، تاريخ الخلفاء ص (١٠٨).

أن حَرَّم عليهم الخمرَ، وحُجةٌ على الباقين؛ لأنّ الله يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ﴾ (١) حتَّى بلغَ الآيةَ الأخرى، فإنْ كان من الذين آمنُوا وعمِلُوا الصالحاتِ، ثمّ اتَّقَوا وآمنُوا، ثمّ اتَّقَوا وأحسَنُوا، فإنَّ اللهَ نَهَى أن يُشْرَبَ الخمرُ (٢).

فلمّا كانَ ابنُ عباس ﷺ يعلَمُ سبَبَ نزولِ هذه الآية لم يَخْفَ عليه حكمُها كما خَفِي على من لم يعلَمْ ذلك.

٣- أنّهم عرَفُوا أحوالَ من نزَلَ فيهم القرآنُ من العرب واليهود، ولاشكَّ أنَّ لمعرفةِ أحوالِ من نزَلَ فيهم القرآنُ أهميةً كبيرةً في تفسيره؛ إذْ لا يمكنُ بدونِها فهمُ الآية فهْماً صحيحاً (٣).

ومثالُ ذلك ما رَواه البخاريّ (٤) عن ابن عباس ﷺ في تفسير قوله تعالى: ﴿لَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَن تَبۡتَغُواْ فَضۡلٗا مِّن رَّبِّكُمۡ﴾ (٥) قال: كانتْ عُكَاظٌ (٦)

(١) سورة المائدة، الآية: ٩٠ .

(٢) الدر المنثور (٤٦١/٥)، وأخرجه الحاكم في المستدرك (٤١٧/٤) رقم (٨١٣٢)، وصحّحه، ووافقَه الذهبيّ.

(٣) انظر: الموافقات (٣٥١/٣)، التفسير والمفسرون (٤٥/١).

(٤) محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البُخاريّ، أبو عبد الله، صاحبُ الجامع الصحيح والتصانيف، كان رأْساً في الذّكاء والعلم والورع والعبادة، توفي سنة ست وخمسين ومائتين.
انظر: تذكرة الحفاظ (٥٥٥/٢) رقم (٥٧٨)، سير أعلام النبلاء (٣٩١/١٢).

(٥) سورة البقرة، الآية: ١٩٨.

(٦) عُكَاظٌ: اسم سوق من أسواق العرب في الجاهلية، سُمِّيت بذلك؛ لأنّ العرب كانتْ تجتمع بها، فيَعْكِظُ بعضُهم بعضاً في المفاخرة، أو أنّها مأخوذة من التَعَكُّظ، وهو احتباسُ الناسِ للنظر في أمورهم، وتقع سوقُ عُكاظ بين مكة والطائف، وهي إلى الطائف أقْرَبُ، وكانتْ تستَمِرّ عشرين يوماً من أول ذي القعدة إلى العشرين منه، على خلاف في ذلك، وهي أشهرُ أسواق العرب، وأعظمُها في الجاهليّة والإسلام.
انظر: معجم البلدان (١٤٢/٤)، الموسوعة العربيّة العالميّة (١٣٨/٢).

ومَجَنَّةُ (١) وذُو المِجَاز (٢) أسْواقاً في الجاهليّة، فَتَأَثَّمُوا (٣) أن يَتَّجِرُوا في المواسم، فنزلتْ ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ في مواسمِ الحجّ (٤).

لما عُرِفَتْ أحوالُ من نزلتْ فيهم هذه الآيةُ وما كانوا عليه في الجاهليّة اتَّضَحَ معناها.

٤- أنّهم أهلُ اللِّسانِ الذي نزَلَ به القرآنُ، ولذلك فهم أعْرَفُ به من غيرِهم، ولاسيما أنّهم كانوا في الرُّتبة العُليا من الفصاحة والبيان ما أمكَنَهم من الفهم الصحيح لكلام الله ﷻ (٥).

٥- أنّهم لِمَا آتاهم اللهُ من حُسْنِ الفهْم، وقوّةِ الاستنباط عَلِمُوا من التفسير ما لم يعلَمْه مَن دونَهم مع كونِهم مُتفاوتينَ في هذالجانب (٦).

ومن الأمثلة على حُسْن فهمِهم، وقوّةِ استنباطهم ما رَواه البخاريّ من طريق سعيد بن جُبَير (٧) عن ابن عباس ﷺ قال: كان عمرُ يُدْخِلُني مع أشياخ بدْر، فكأنّ بعضَهم (٨) وجدَ في نفسه، فقال: لِمَ تُدخِلُ هذا معنا، ولنا أبناءٌ مثله؟ فقال عمرُ: إنّه من حيثُ عَلِمْتُم،

---

(١) مَجَنَّةُ: اسمُ سوق للعرب في الجاهلية، مشتقّ من الجنّ أو الجنون أو الجَنَّة أي البستان، كانتْ تُعْقَد بأسفل مكة بِمَرِّ الظَّهْرَان، وهو وادي فاطمة في هذه الأيام، يذهبُ الناس إليها بعدَ عُكَاظ، ويُقيمون بها العشر المتبقيّة من ذي القعدة حتى يرَوا هلالَ ذي الحجّة، فيَنتَقِلوا إلى ذي المجَاز، وقيل: كانوا يُقيمون بها عشرين يوماً من ذي القعدة قبلَ أن يَنتَقِلوا إلى ذي المجاز.

انظر: معجم البلدان (٥/٥٨)، الموسوعة العربيّة العالميّة (٢/١٣٩).

(٢) ذُو المَجَاز: سوقٌ من أسواق العرب في الجاهليّة، سُمِّيتْ بذلك؛ لأنّ إجازة الحجيج تكونُ منها إلى عَرَفات، وكانتْ على مسافة ثلاثة أميال من عرَفات بناحية جبل كَبكَب، وقيل كانتْ بمنى بين مكة وعرفات، كانتْ تقومُ حينَ يُهِلُّ ذو الحجة، فينصرِفُ الناس من سوق مَجَنَّة إليها، ويُقيمون بها حتّى اليوم الثامن من ذي الحجّة.

انظر: معجم البلدان (٥/٥٥)، الموسوعة العربيّة العالميّة (٢/١٣٩).

(٣) التَّأَثُّم: التحَرُّج وتجنُّبُ الوقوع في الإثم، أثِمَ فلانٌ: وقَعَ في الإثْم، فإذا تَحَرَّجَ وَكَفَّ قيل: تَأَثَّمَ.

انظر: مقاييس اللغة (أثم) (١/٦٠)، لسان العرب (أثم) (١٢/٥).

(٤) صحيح البخاري/ كتاب: التفسير/ باب: ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ ﴾/ رقم (٤٢٤٧).

(٥) انظر: الموافقات (٣/٣٣٨)، التفسير والمفسرون (١/٤٥).

(٦) انظر: التفسير والمفسرون (١/٤٥).

(٧) سَعِيد بن جُبَير بن هِشَام الأَسَدِيّ الوَالِبِيّ مولاهم، أبو محمد، ويقال: أبو عبد الله الكوفيّ، التابعيّ الجليل، الفقيه، المفسِّر، توفي سنة خمس وتسعين.

انظر: غاية النهاية (١/٣٠٥) رقم (١٣٤٠)، طبقات المفسرين للأدنه وي ص (١٠) رقم (١٣).

(٨) هو عبد الرّحمن بن عَوْفٍ الزُّهْرِيّ ﷺ، أحدُ العشرة المشهود لهم بالجنّة.

انظر: فتح الباري (٨/٧٣٥).

فدَعا ذاتَ يومٍ، فأدْخَلَه معَهم، فما رُئِيْتُ أنّه دَعاني يومئذٍ إلاّ لِيُرِيَهم، قال: ما تقولونَ في قول الله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ﴾ (١) ؟ فقال بعضُهم: أُمِرْنا أن نحْمَدَ اللهَ ونَسْتَغْفِرَه إذا نُصِرْنا وفُتِحَ علينا، وسكَتَ بعضُهم، فلمْ يقُلْ شيئاً، فقال لي: أَكَذَاكَ تقولُ يا ابنَ عباس؟ فقلتُ: لا، قال: فما تقولُ؟ قلتُ: هو أجلُ رسولِ الله ﷺ أعلَمَه له، قال: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ﴾، وذلك علامةُ أجَلِك، ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا﴾ (٢)، فقال عمرُ: ما أعلمُ منها إلاّ ما تقولُ (٣).

٦- أنّه لم يقعْ بينَهم خِلافٌ يؤثِّرُ في علمِهم بحيثُ يُوجِّهُون آراءَهم العلميّة إلى ما يعتَقِدُونَه، وإن كان مخالفاً للحقّ، كما هو الشأنُ فيمن جاءَ بعدَهم من أصحابِ العقائد الباطلة كالخَوَارِج (٤) والمرجِئَة (٥) والجَهمِيَّة (٦) والمعتَزِلَة (٧)

---

(١) سورة النصر، الآية: ١.

(٢) سورة النصر، الآية: ٣.

(٣) صحيح البخاري/ كتاب: التفسير/ باب قوله: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا﴾/ رقم (٤٦٨٦).

(٤) الخَوَارِج: طائفةٌ من أهل البِدَع، حذَّرَ منهم النبيّ ﷺ، وأمرَ بقتالهم، ظهرُوا في صدر الإسلام، وخرَجُوا على أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب ﷺ، وقاتلُوه، وهم فِرَقٌ كثيرة يجْمَعُهم القولُ بتكفير عليّ وعثمان رضي الله عنهما، والقائلينَ بالتحكيم، وأصحابِ الجَمَل، كما يُكفِّرون أصحابَ الكبائر، ويرَوْنَ وجوبَ الخروجِ على الإمام الجائر.
انظر: مقالات إسلاميين للأشعري ص (٨٦)، التنبيه والرد للملطي ص (٤٧).

(٥) المرجِئَة: هم الذين قالوا بتأخير العمل عن مسمَّى الإيمان وعدم دخوله فيه، وهم فِرقٌ متعدّدة يجمَعُهم هذا القول، كما أنّهم على مراتب، فمنهم من يجعلُ الإيمان: هو الإقرار باللّسان، ومنهم من يقولُ: هو المعرفة والقول دونَ العمل، ومنهم من يزعُمُ أنّ الإيمان: هو مجرَّدُ المعرفة، كالجهميّة.
انظر: مقالات إسلاميّين للأشعري ص (١٣٢)، الفرق بين الفِرَق ص (١٩٠).

(٦) الجَهْمِيَّة: طائفة من أهل البِدَع تُنْسَبُ إلى الجَهْم بن صَفْوان السمرقندي، قالوا بنفْي الأسماء والصفات عن الله تعالى، كما نفَوا قدرةَ العباد على أفعالهم وإرادتهم لها، وزَعَمُوا أنّهم مجبورون عليها، وقالوا بفناء الجنّة والنار، والإيمان عندهم: هو مجرَّدُ المعرفة، لا يزيدُ ولا ينقُص، إلى غير ذلك.
انظر: التنبيه والرد للملطي ص (٩٦)، الملل والنحل (٨٦/١).

(٧) المعتَزِلَة: طائفة كلاميّة ظهَرَتْ في أوائل القرن الثاني، رأسُها واصِل بن عَطاء، يرجعُ اسمُها إلى اعتزالِ واصِل بن عَطاء وعَمْرو بن عُبَيد مجلسَ الحسن البصري؛ لقولهما بأنّ مرتكبَ الكبيرة ليسَ كافراً ولا مؤ مناً، بل هو في منزلة بينَ المنزلتينِ، وتُلقَّبُ بالقدَريّة؛ لإنكارها بالقدَر، وقالتْ بخلْقِ القرآن، ونفْي قيامِ الصفات بالله، وإنكارِ رُؤية الله، إلى غير ذلك من المسائل.
انظر: الفرق بين الفِرَق ص (٩٣)، الملل والنحل (٤٣/١).

وغيرهم، بل كان شأنُ الخِلافِ بينَهم إظهارَ الحقّ، فجاءَ تفسيرُهم بعيداً عن تأويلٍ (١) وصرْفِ اللفظ القرآني إلى ما يُناسِبُ المذهبَ أو غيرها من الانحرافات في التفسير (٢).

ثانياً: حكم الاحتجاج بأقوالهم في التفسير:

ذكرَ بعضُ أهل العلم (٣) أنّ قولَ الصحابي في التفسير له حكمُ المرفوع (٤)، ولكن هذا القول لا يُقبَلُ على هذا الإطلاق، والصّوابُ أنّ تفسيرَ الصحابي له حكمُ المرفوع في حالتَينِ، وهما:

الحالة الأولى: إذا كان ممّا يرجِعُ إلى أسبابِ النزول، كقولِ جابر ﷺ (٥): كانتِ اليهودُ تقولُ: إذا أتَى الرَّجُلُ امرأتَه من دُبُرِها في قُبُلِها كان الولدُ أَحْوَلَ (٦)، فنزلتْ ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾ (٧).

---

(١) التأويل عند المتكلمين: هو صرفُ اللفظ عن الاحتمال الراجح إلى الاحتمال المرجوح؛ لدليل يقتَرِنُ به.
انظر: المستصفى للغزالي ص (١٩٦)، روضة الناظر ص (١٧٨).

(٢) انظر: التفسير والمفسرون (٧٣/١).

(٣) انظر: المستدرك: (٢٨٣/٢)، فقد أطلقَ فيه الحاكمُ هذا القولَ، وعزاه للبخاري ومسلم، فقال :" ليَعْلَمَ طالبُ هذا العلم أنّ تفسيرَ الصحابي الذي شهِدَ الوحْيَ والتنزيلَ عندَ الشيخين حديثٌ مُسنَدٌ ". اهـ.
وقيَّد الحاكمُ هذا الإطلاقَ في معرفة علوم الحديث ص (٢٠)، فقال: "فأمّا ما نقولُ في تفسير الصحابي مُسنَد فإنّما نقولُه ..."، وأوردَ حديث جابرﷺ في قصّة اليهود، ثمّ قال: "هذا الحديثُ وأشباهُه مُسنَدةٌ عن آخرها، وليستْ بموقوفة؛ فإنّ الصحابي الذي شهِدَ الوحي والتنزيل، فأخبرَ عن آيةٍ من القرآن أنّها نزلت في كذا وكذا فإنه حديثٌ مُسنَد". اهـ.

(٤) المرفُوع: ما أُضِيفَ إلى النبيّ ﷺ من قولٍ أو فعلٍ أو تقريرٍ أو صفةٍ.
تيسير مصطلح الحديث ص (١٢٧).

(٥) جابر بن عبد الله بن عَمْرو بن حَرَام الأنصاري السَّلَمِيّ، أبو عبد الله، الفقيه، مفتي المدينة في زمانه، شَهِد العَقَبَة الثانية، وكان من المكْثِرين في الرواية عن النبيّ ﷺ، كُفَّ بصرُه في آخر عمره، توفي سنة ثمان وسبعين، وقيل غير ذلك.
انظر: الاستيعاب (٢١٩/١) رقم (٢٨٦)، تذكرة الحفاظ (٤٣/١) رقم (٢١).

(٦) أَحْوَل: وهو أَفْعَلُ من الْحَوَلِ، يُقَال: حَوِلَتْ عَيْنُهُ يَحْوَلُ حَوَلًا: كان بها حَوَلٌ، فهو أَحْوَلُ، وهي حَوْلَاء.
انظر: المعجم الوسيط (حال) (٢٠٨/١).

(٧) سورة البقرة، الآية: ٢٢٣.

والأثر أخرجه البخاريّ في صحيحه/ كتاب: التفسير باب: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ وَقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُمْ﴾ الآية/ رقم (٤٢٥٤)، مسلم في صحيحه/ كتاب: النكاح/ باب: جواز جماعه امرأته في قُبُلها من قُدَّامها ومن وَرَائها .../ رقم (١٤٣٥)، واللفظ لمسلم.

الحالة الثانية: إذا كان ممّا لا مجالَ للرأي فيه، كالإخبار عن الأمور الماضية من بدْء الخلق، وقِصَص الأنبياء، وعن الأمور الآتية، كالمَلاحِم والفِتن، والبعْث، وصفة الجنّة والنار، والإخبار عن عملٍ يحصُلُ به ثوابٌ مخصوص أو عقابٌ مخصوص (١).

ويُستَثنَى من ذلك تفسيرُ من عُرِفَ بالنظر في الإسرائيليّات (٢) من الصّحابة، كمُسْلِمَة أهل الكتاب مثل عبد الله بن سَلاَم ﷺ (٣) وغيره، وكعبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ (٤)؛ فإنّه حصَلتْ له كتبٌ كثيرة من كتُب أهل الكتاب (٥) في وقْعَة اليَرمُوك (٦)، فكان يُخبِرُ بما فيها من الأمور المغَيَّبَة، فمثلُ هذا لا يكونُ حكمُ ما يُخبَر به من الأمور الغيبيّة المرفوعُ؛ لقُوّة الاحتمال في كونه من ضمنِ الإسرائيليّات؛ لأنّ كثيراً منهم كانوا يروُونَ الإسرائيليّات عن أهلِ الكتاب على سبيل الذكرى والموعظة، لا بمعنى أنّهم يعتَقِدون صحَّتَها، أو يسْتَجيزُون نسبتَها إلى رسول الله ﷺ (٧).

أما ما عدا هذينِ النوعينِ من تفاسير الصحابة الذي لا يشتَمِل على إضافة شيءٍ إلى رسول الله ﷺ ممّا للرأي فيه مجال، كتفسير مفردٍ بمفرد، أو بيانِ حُكمٍ شرعيّ في الآية، ونحو ذلك فلا

---

(١) انظر: معرفة علوم الحديث ص (٢٠)، مقدمة ابن الصلاح ص (٥٠)، التقريب مع التدريب (١/٢١٥- ٢١٦).

(٢) الإسرائيليّات: تُطلَق – عند الكثير – على القِصَص والأخبار اليهوديّة والنصرانيّة التي تسرَّبَتْ إلى المجتمع الإسلامي بعد دخول جمْعٍ من اليهود والنصارى في الإسلام أو تظاهُرهم بالدخول فيه.
انظر: التفسير والمفسرون (١/١٢١)، الأَلُوسيّ مفسِّراً ص (٢٨٢).

(٣) عبد الله بن سَلاَم بن الحارث الإسرائيليّ الأنصاريّ، يُكَنَّى أبا يوسف، أحدُ الأحبار، أسلَمَ عند قدوم النبيّ ﷺ المدينةَ، كان اسمه الحُصَين، فسمَّاه رسولُ الله ﷺ عبدَ الله، شَهِد رسولُ الله ﷺ له بالجنّة، توفي بالمدينة في خلافة معاوية سنة ثلاث وأربعين.
انظر: الاستيعاب (٣/٩٢١) رقم (١٥٦١)، الإصابة (٤/١١٨) رقم (٤٧٢٨).

(٤) عبد الله بن عَمْرو بن العاص القُرَشي السَّهْمِيّ، كُنيته: أبو محمد عند الأكثر، ويقال: أبو عبد الرحمن، أسلَمَ قبل أبيه، وكان فاضلاً عالماً، قرأ القرآن والكتُب المتقدِّمة، توفي سنة خمس وستين، وقيل: غير ذلك.
انظر: أسد الغابة (٣/٣٥٦) رقم (٣٠٧٩)، الإصابة (٤/١٩٢) رقم (٤٨٥٠).

(٥) انظر: البداية والنهاية (١/٢٤).

(٦) وقْعَةُ اليَرْمُوْك: اليَرْمُوْك موضع بالشام، وكانت فيه وقعة في أوّل خلافة عمر ﷺ، وكان النّصر للمسلمينَ على الرُّوم، واستُشْهِدَ من المسلمين جماعة.
انظر: تاريخ الطبري (٢/٣٣٥)، معجم البلدان (٥/٤٣٤).

(٧) انظر: النكت على كتاب ابن الصلاح (٢/٥٣٢)، الباعث الحثيث ص (٤٥).

يُحْكَمُ له بالرفع، بل هو معدودٌ في الموقوفات (١)؛ لعدم تَحَتُّم إضافتِه إلى الشارع، أما اللُّغة والبلاغة؛ فلكونِهم بمرتبةٍ عاليةٍ من الفصاحة والبلاغة، وأمّا الأحكام؛ فلاحْتمالِ كونِها مُستفادةً من القواعد (٢).

فما حُكِمَ عليه بأنّه من قبيل المرفوع يجِبُ الأخْذ به، ولا يجوزُ رَدُّه اتفاقاً، أمّا ما حُكِمَ عليه بالوقْف فقد اختَلفَ فيه العلماءُ على قولَينِ (٣)، وهما:

١- أنّ الموقوفَ على الصحابي من التفسير لا يجِبُ الأخذُ به؛ لأنّه لما لَمْ يَرفَعْه عُلِمَ أنّه من اجتهادِه، والصحابيّ في اجتهادِه كسائرِ المجتهدين، يُخْطِئُ ويُصِيبُ.

٢- أنّه يجِبُ الأخذُ به أيضاً؛ لاحْتِمالِ أنّهم سمِعُوه من رسول الله ﷺ، ولأنّهم وإن فسَّروا برأْيِهم فرأْيُهم أصْوَبُ؛ فإنّهم أَدْرَى الناسِ بكتابِ الله؛ إذْ هُم أهلُ اللّسان، ولبركة الصُّحبةِ، والتخَلُّق بأخلاقِ النبوّة.

والرّاجح - والله أعلم -: أنّ الموقوفَ على الصحابي من التفسير إذا لَمْ يُعَارَضْ برأي صحابيٍّ آخر يجِبُ الأخذُ به وتقديمُه على غيره من آراء الخَلَف؛ وذلك لكونِهم أعلمَ الناس بتفسير كتاب الله؛ لما شاهَدُوه من القرائن والأحوال، ولتمَكُّنِهم من اللُّغة التي نزَلَ بها القرآن، فهم أسيادُ الفصاحة والبيان إضافةً إلى أنّ كثيراً ممّا نُقِلَ عنهم في التفسير قد تَلقَّوه عن رسولِ الله ﷺ.

وإذا تعارَضَتْ أقوالُهم وأمكنَ الجمْعُ بينها فذلك، وإن تعَذَّرَ رُجِّحَ بين أقوالهم بأحد المرَجِّحَات، وأُخِذَ بالقولِ الراجح، ولم يُخرَجْ عن أقَاويلِهم كلِّهم (٤).

---

(١) الموقُوف: ما أُضِيفَ إلى الصّحابة من قولٍ أو فعلٍ أو تقريرٍ.
انظر: تيسير مصطلح الحديث ص (١٢٩).

(٢) انظر: مقدمة ابن الصلاح ص (٤٦)، التقريب مع التدريب (٢١٦/١)، النكت على كتاب ابن الصلاح (٥٣٢/٢).

(٣) انظر: التفسير والمفسرون (٧٢/١).

(٤) انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية (٥٩/١٣)، البحر المحيط للزركشيّ (٣٥٩/٤)، فصول في أصول التفسير ص (٣٤).

والقول الثاني هو اختيارُ ابن تيمية وابن القيّم (١) والزَّرَكَشِي (٢) وغيرهم.

قال ابنُ تيمية:"وحينئذٍ إذا لم تجِدِ التفسيرَ في القرآن ولا في السنّة رجعْتَ في ذلك إلى أقوالِ الصحابة، فإنّهم أَدْرَى بذلك؛ لِمَا شاهَدُوا من القرآن، والأحوال التي اختَصُّوا بها، ولِمَا لهم من الفهم التامّ، والعلم الصحيح ..." (٣). اهـ.

قال ابنُ القيِّم: "والصحابة أعلمُ الأمّة بتفسير القرآن، ويجِبُ الرّجوع إلى تفسيرِهم" (٤). اهـ.

قال الزَّرَكَشِيّ: "واعلمْ أنّ القرآن قسمان: أحدهما ورَدَ تفسيرُه بالنقل عمّن يُعتبَرُ تفسيرُه وقسم لم يرِدْ، والأوّل ثلاثة أنواع: إمّا أن يَرِد التفسير عن النبيّ ﷺ أو عن الصحابة أو عن رؤوس التابعين، فالأول: يُبحَث فيه عن صحّة السند، والثاني: يُنظر في تفسير الصحابي، فإنْ فَسَّرَه من حيث اللُّغة فهم أهلُ اللّسان، فلا شكَّ في اعتمادهم، وإن فسَّرَه بما شاهَدَه من الأسباب والقرائن فلا شكَّ فيه ..." (٥). اهـ.

وقد رجَّحَ هذا القولَ الدكتور الذَّهَبِيّ (٦) بعدَ أن ذكرَ خلافَ العلماء في المسألة، فقال: "وهذا الرأيُ الأخير هو الذي تميلُ إليه النّفسُ، ويطمئِنُّ إليه القلبُ" (٧). اهـ.

(١) محمد بن أبي بكر بن أيّوب الزُّرَعِيّ الدِّمَشْقِيّ، أبو عبد الله الحنبليّ، الإمام، العلامة، المعروف بابن قَيِّم الجوزية، صاحبُ التصانيف منها: أعلام الموقعين، ومفتاح دار السعادة، والصواعق المرسلة، توفي سنة إحدى وخمسين وسبع مائة.
انظر: الدرر الكامنة (١٣٧/٥) رقم (١٠٦٧)، الذيل على طبقات الحنابلة (٤٤٧/٤) رقم (٥٥١).

(٢) محمد بن بَهَادُر بن عبد الله المصريّ، أبو عبد الله الزَّرْكَشِيّ، تُركيّ الأصل، كان فقيهاً، أصوليّاً، أديباً فاضلاً، من تصانيفه: البرهان في علوم القرآن، والبحر المحيط في أصول الفقه، توفي سنة أربع وتسعين وسبع مائة.
انظر: الدرر الكامنة (١٣٣/٥) رقم (١٠٥٩)، طبقات الشافعية لابن شهبة (١٦٧/٣) رقم (٧٠٠).

(٣) مقدمة في أصول التفسير ص (٨٤).

(٤) التبيان في أقسام القرآن ص (١٤٣).

(٥) البرهان في علوم القرآن (١٧٢/٢).

(٦) محمّد بن حُسَين الذَّهَبِيّ، مُفسّر شهير، من علماء الأزهر، عُرِف ببحوثه القيِّمة في مناهج التفسير، من مؤلفاته: التفسير والمفسرون، ومقدمة في علم التفسير، توفي سنة سبع وتسعين وثلاث مائة وألف.
انظر: تتمة الأعلام (١٤٥/٢).

(٧) التفسير والمفسرون (٧٢/١).

المبحث الثاني: موقف المفسرين من أقوال الصحابة في العقيدة:

علمُ التفسير من أجلِّ العلوم وأشرَفِها؛ لتعلُّقِه بكلام الله ﷻ، ولكونِ الغاية منه البحث عن مرادِ الله تعالى، وبيانه وإيضاحه، فهو شاملٌ لكلّ ما يَتَوَقَّف عليه فهمُ المعنى (١)، وقد اعتَنَى به سلفُ هذه الأمّة، وعلى رأسِهم الصحابة بالغَ العِناية، ففسَّرُوا كتابَ الله تعالى، وبيَّنُوا مرادَه من كلامه، ولم يستَثْنُوا من كتابِ الله نوعاً من الآيات دونَ تفسير سواء كانتْ آيات الصفات أو غيرها.

قال ابنُ تيمية: "فالسلف من الصحابة والتابعين وسائر الأمّة قد تكلَّمُوا في جميع نصوص القرآن آيات الصفات وغيرها، وفسَّرُوها بما يوافِقُ دلالتَها وبيانَها ..." (٢). اهـ.

فكان موقفُهم من آياتِ الصفات الإثباتَ على ما يليقُ بالله ﷻ من غير تحْريفٍ (٣)، ولا تعْطيلٍ (٤)، ولا تكْييفٍ (٥)، ولا تمْثيلٍ (٦)، ولم يختَلِفُوا في مسألة واحدة من مسائل الأسماء، والصفات، والأفعال.

قال ابنُ القيّم: "وقد تنازَعَ الصحابةُ في كثيرٍ من مسائل الأحكام، وهم ساداتُ المؤمنينَ، وأكملُ الأمّة إيماناً، ولكن بحمدِ الله لم يتنازَعُوا في مسألةٍ واحدةٍ من مسائل الأسماء، والصّفات، والأفعال، بل كلُّهم على إثبات ما نطَقَ به الكتابُ والسنةُ كلمةً واحدةً من أولهم إلى آخرهم، لم يَسُومُوها تأويلاً، ولم يُحرِّفُوها عن مواضعِها تبديلاً، ولم يُبْدُوا لشيءٍ منها إبطالاً، ولا ضرَبُوا لها أمثالاً، ولم يَدْفعُوا في صدورها وأعجازها، ولم يقُلْ أحدٌ منهم: يَجِبُ صرْفُها عن حقائقها، وحمْلُها على مجازها، بل تَلقَّوْها بالقبول والتسليم، وقابَلُوها بالإيمان والتعظيم ..." (٧). اهـ.

---

(١) انظر: التفسير والمفسرون (١٤/١).

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية (٣٠٧/١٣).

(٣) التحريف: هو تفسيرُ النصوص بالمعاني الباطلة التي لا تدلّ عليها بوجهٍ من الوجوه.

(٤) التعطيل: نفي المعنى الحق الذي دلّ عليه الكتاب والسنة.

(٥) التكييف: هو البحث عن كنه الصفات.

(٦) التمثيل: هو أن يقال: في صفات الله هي مثل صفات المخلوقين.

انظر: التنبيهات اللطيفة للسعدي ص (١٣)، التحفة المهدية لابن مهدي ص (٢٧٣- ٢٧٤).

(٧) إعلام الموقعين (٤٩/١).

ولأهمية علم التفسير ومكانته اعتَنَى به المسلمون قديماً وحديثاً، وكما سبقَ (١) أنّ الصحابة أعلمُ الناس بكتاب ربهم تعالى؛ لأنّهم شاهَدُوا التنزيل، وعرَفُوا التأويل، فمن المفسِّرين من اهتَمَّ بأقوالهم في التفسير، فأكثَرُوا من النقل عنهم سواء في آيات الاعتقاد أم في غيرها، وقرَّرَ ما قرَّرُوه، وأثبَتَ ما أثبَتُوه من أسماء الله وصفاته.

ومنهم من اعتقَدَ رأْياً، ثمّ حمَلَ ألفاظَ القرآن عليه دونَ الالتفات إلى أقوال خيرِ القرون، وأعلمِ الناس بالتفسير، ومن هذا النوع عددٌ كبير تأثَّرُوا بمذهب الأشْعَري (٢) والماتُريدي (٣)، فلم يهتَمُّوا بأقوالهم، ولم يحتَجُّوا بها في آيات الاعتقاد، وخاصةً في المسائل التي خالفَتْ فيها الأشَاعِرة (٤) والمِاتُرِيدِيَّة (٥) منهجَ أهلِ السنة والجماعة.

ولا عجَبَ؛ فإنّ من الأصول المنهجيّة لدَى الأشَاعِرَة والماتُريديّة عدمُ الاحتجاج

---

(١) انظر: ما سبق ص (١٧).

(٢) عليّ بن إسماعيل بن إسحاق، أبو الحسن الأشعريّ، مؤسِّسُ مذهب الأشاعرة، تلقَّى مذهبَ المعتزلة، وتقدَّمَ فيهم، ثمّ رجَعَ وجاهرَ بخلافهم، من أشهر مؤلفاته: مقالات الإسلاميّين، والإبانة عن أصول الديانة، واللُّمَع في الردّ على أهل الزّيغ والبِدَع، توفي سنة أربع وعشرين وثلاث مائة، وقيل: غير ذلك.

انظر: وفيات الأعيان (٢٨٤/٣) رقم (٤٢٩)، طبقات الشافعية لابن شهبة (١١٣/١) رقم (٦٠).

(٣) محمد بن محمد بن محمود السمرقنديّ، أبو منصور الماتريديّ، من أئمّة علماء الكلام، من تصانيفه: شرح الفقه المنسوب لأبي حنيفة، وتأويلات أهل السنة، ومأخذ الشرائع في أصول الفقه، توفي سنة ثلاث وثلاثين وثلاث مائة، وقيل غير ذلك.

انظر: الجواهر المضيئة (١٣٠/٢) رقم (٣٩٧)، تاج التراجم (٢٤٩/٢).

(٤) الأشاعرة: ينتَسِبُون إلى أبي الحسن الأشعري، اتّفَقُوا على إثبات الأسماء وسبْع صفات، وهي: القدرة والإرادة والعلم والحياة والسمع والبصر والكلام، واختَلفُوا فيما عدا هذه الصفات، وخالفُوا أهلَ السنّة في أصولٍ كثيرة، كالإيمان والقدر والقرآن، ولاسيّما المتأخّرون منهم، كالجُوينيّ والشهْرستانيّ والرازيّ وغيرهم.

انظر: الفرق بين الفرق ص (٣٠٩)، الملل والنحل (٩٤/١).

(٥) الماتريديّة: فرقة تنْتَسِبُ إلى أبي منصور الماتريديّ، بينها وبين الأشاعرة تقاربٌ كبير، مصدرُهم في تلقّي الإلهيّات والنبوّات العقْلُ، ولم يُثبِتُوا إلاّ ثمان صفات، يُضِيفُون إلى الصّفات السبْع التي أثبَتَها الأشاعرةُ صفةَ (التكوين)، ورَأَوا أنّ العقْل دلَّ عليها دونَ غيرها، وقد نَفَوْا جميعَ الصفات الخبريّة والاختياريّة.

انظر: الماتريديّة دراسةً وتقويماً، لأحمد الحربي، الماتريدية وموقفهم من توحيد الأسماء والصفات، للشمس الأفغاني.

بأحاديث الآحاد (١) في باب العقائد بدعوى أنّها تُفيدُ الظنَّ ولا تُفيدُ العلمَ اليقيني (٢)، فتركُهم لأقوال الصحابة في العقيدة، وعدم الاحتجاج بها في تقريرها من باب أَولَى.

وسأقتَصِر هنا على المفسِّرين الذين تأثَّرُوا بمذهب الأشْعَرِي والماتُرِيْدِي؛ لشُهْرة تفاسيرهم، ولانتسابِهم إلى أهل السنة والجماعة، ويمكنُ تلخيصُ موقفِهم من أقوال الصحابة في العقيدة في النقاط التالية:

١ – أنّهم يُعرِضُون عن أقوالهم التي فيها إثباتُ صفةٍ من صفات الله ﷻ التي يَنفُونها، ويذكُرُون عنهم ولاسيّما من عُرِفَ منهم بالتفسير كابن عباس ﷺ منقولاتٍ غيرَ ثابتةٍ تؤيِّدُ موقِفَهم من التعطيل.

فمثلاً: صفةُ الإتيان والمجيء، فقد نقلَ القُرطُبيّ (٣) وأبو حَيَّان (٤) عن ابن عباس ﷺ في تفسير قوله تعالى: ﴿ هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِي ظُلَلٖ مِّنَ ٱلۡغَمَامِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ ﴾ (٥) قال: هذا من المكتُوم الذى لا يُفَسَّر (٦).

والصّواب – واللهُ أعلم –: أنّه ليس بقول ابن عباس ﷺ بل هو مكذوبة عليه؛ لما فيه من التعطيل، وممّا يُقوّي ذلك أنّ الخازن (١) ذكَرَ هذا القولَ في تفسيره (٢)، ونسبَه إلى الكلبي (٣)، وعلى فرض صحته وثبوته عن ابن عباس ﷺ يُحْمَلُ على أنّ المرادَ به تفسيرُ الكيفيّة لا المعنى.

---

(١) الخبر الوَاحد: هو الحديث الذي يرويه الواحدُ أو الاثنانِ فصاعداً ما لم يبلُغِ الشُهْرة والتواتُر.
انظر: التعريفات ص (١٣١)، شرح نخبة الفكر للقاري ص (٢٠٩).

(٢) انظر: التوحيد للماتريدي ص (٩)، أساس التقديس للرازي ص (١٢٧).

(٣) محمد بن أحمد بن أبي بكر الأنصاريّ الأُنْدَلُسِيّ، أبو عبد الله القُرطُبِيّ، من كبار المفسّرين، من تصانيفه: الجامع لأحكام القرآن، والأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، والتذكرة بأحوال الموتى، توفي سنة إحدى وسبعين وست مائة.
انظر: الوافي بالوفيات (٨٧/٢)، الديباج المذهب ص (٣١٧).

(٤) محمد بن يوسف بن عليّ الغَرْنَاطِيّ، أبو حيّان الأُندَلُسِيُّ، اللّغوي، المفسّر، المقرئ، الأديب، له عدة مؤلفات، منها : البحر المحيط، والتذييل والتكميل في شرح التسهيل، توفي سنة خمس وأربعين وسبع مائة.
انظر: الدرر الكامنة (٥٨/٦) رقم (٢١٧٩)، بغية الوعاة (٢٨٠/١) رقم (٥١٦).

(٥) سورة البقرة، الآية: ٢١٠.

(٦) تفسير القرطبي (٢٦/٣)، تفسير البحر المحيط (١٣٣/٢).

وقد أخرَجَ ابنُ أبي حاتم (٤) عن ابن عباس ﷺ في تفسير هذه الآية قال: يأتي اللهُ ﷻ يومَ القيامة في ظُلَلٍ من السَّحاب قد قُطِّعَتْ طَاقَاتٌ (٥).

وهذا القولُ – وإن كان إسنادُه ضعيفاً – أَولَى أن تُفَسَّر به الآية؛ لما فيه من إثباتِ صفة الإتيان، كما هو مذهبُ السلف من الصحابة ومن بعدَهم، ولكن ليسَ له ذكر في تفسير القرطبيّ وأبي حيان.

قال ابنُ قدامة (٦) بعدَ أن ذكرَ عدَّة آياتِ الصفات، منها آيةُ البقرة، قال: "فهذا وما أشبَهَه ممّا صحَّ سنَدُه، وعدَلَتْ رُواتُه نُؤمنُ به، ولا نرُدُّه، ولا نجْحَدُه، ولا نتأَوَّلُه بتأويلٍ يخالِفُ ظاهرَه، ولا نُشبِّهُه بصفاتِ المخلوقين، ولا بسِمَات المحْدَثين (٧)، ونعلمُ أنّ الله سبحانه وتعالى لا شبيهَ له ولا نظيرَ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ (١)" (٢). اهـ.

---

(١) علي بن محمد بن إبراهيم الشِّيْحِيّ، أبو الحسن البغداديّ، المعروف بالخازن، عالم بالتفسير والحديث، من فقهاء الشافعية، له تصانيف، منها: لُباب التأويل في معاني التنزيل، يُعرَف بتفسير الخازن، توفي سنة إحدى وأربعين وسبع مائة.

انظر: طبقات الشافعية لابن شهبة (٤٢/٣) رقم (٦٠٤)، الدرر الكامنة (١١٥/٤) رقم (٢٢١).

(٢) انظر: تفسير الخازن (١٩٨/١).

(٣) محمد بن السّائب بن بِشْر الكلبيّ، أبو النَّضْر الكوفيّ، المفسِّر، مُتَّهَم بالكذب، ورُمي بالرَّفْض، وهو متروك الحديث، توفي سنة ستّ وأربعين ومائة.

انظر: تهذيب الكمال (٢٤٦/٢٥) رقم (٥٢٣٤)، التقريب رقم (٥٩٠١).

(٤) عبد الرحمن بن أبي حاتم الرَّازي، أبو محمد التَّمِيمِيّ الحَنْظَلِيّ، صنَّفَ في الفقه وغيره، وله التفسير المشهور، توفي سنة سبع وعشرين وثلاث مائة.

انظر: تذكرة الحفاظ (٨٢٩/٣) رقم (٨١٢)، سير أعلام النبلاء (٢٦٣/١٣).

(٥) تفسير ابن أبي حاتم (٣٧٢/٢) رقم (١٩٦٠)، وفي إسناده زَمْعة بن صالح، وهو ضعيف، وانظر: الكشف والبيان (١٢٨/٢)، وأخرج الطبريّ في تفسيره (٢٦٤/٤) رقم (٤٠٣٨) بسنده عن ابن عباس مرفوعاً: "إنّ من الغَمامِ طاقاتٍ يأتي اللهُ فيها محفوفًا، وذلك قوله: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾"، قال أحمد شاكر مُعلِّقًا عليه: "وهذا الحديث ضعيف ...، ولعلَّه موقوفاً أشبَهُ بالصَّواب". اهـ.

(٦) عبد الله بن محمد بن قُدامَة الجُمَاعِيْلِيّ المَقْدِسِيّ الدِّمَشْقِيّ الحنْبليّ، أبو محمد، من أكابرِ الحنابلة، صاحبُ المغني، والمقنع، وروضة الناظر، وغيرها من الكتب، كان إماماً في التفسير والحديث والفقه، توفي سنة عشرين وست مائة.

انظر: سير أعلام النبلاء (١٦٥/٢٢)، البداية والنهاية (٩٩/١٣).

(٧) المحْدَث: ما يكونُ بمادّة ومُدَّة، وقيل: ما كان لوجودِه ابتداءٌ .

مثال آخر: صفةُ اليَدينِ، فقد ذكَرَ ابنُ عطيّة (٣) وأبو حيان والثعالبيّ (٤) عن ابن عباس ﷺ في قوله تعالى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ (٥) قالَ: نِعْمَتاه (٦).

وهذا القولُ لم يُذكَرْ في شيءٍ من التفاسير المأثورة، وما فيه من تعطيل الصّفة يُقوّي عدمَ ثبوته عن ابن عباس ﷺ؛ لأنّ الصحابة كان موقفُهم من الصفات الإثباتَ دونَ التعطيل.

قال الألوسيّ: "ولم يُرْوَ عن أحدٍ من أصحابه ﷺ أنّه أوّلَ ذلك بالنِّعْمَة ..." (٧). اهـ.

وقد رَوَى الحَكِيمُ التّرمِذِيّ (٨) في كتابه (ردّ على المعطِّلة) بسنده عن ابن عباس ﷺ في قوله تعالى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ (٩) قال: يعني اليدينِ: اليدينِ (١٠).

وهذا القولُ أنْسَبُ وأَلْيَقُ بمذهب السلف من الصحابة وغيرهم في صفات الله ﷻ.

قال السَّفَارِيْنِيّ (١١): "فاعْلَمْ أنّ مذهبَ السلف الصالح ... ومن وافَقَهم من أهل الأثر أنّ

انظر: التعريفات ص (٢٦٢).

(١) سورة الشورى، الآية: ١١.

(٢) لمعة الاعتقاد ص (١٢).

(٣) عبد الحق بن غالب بن عبد الملك بن تَمَّام بن عَطِيّة الأَندَلُسِيّ، أبو محمد الغَرناطِيّ، كان فقيهاً، عارفاً بالأحكام والحديث والتفسير، بصيراً بلسان العرب، له التفسير المشهور، توفي سنة إحدى وأربعين وخمس مائة.

انظر : فوات الوفيات (٦٠٦/١) رقم (٢٤٣)، طبقات المفسرين للأدنه وي ص (١٧٥) رقم (٢١٥).

(٤) عبد الرحمن بن محمد بن مَخْلُوف الجَزَائِري، أبو زيد الثّعَالِبِيّ، المفسّر، الفقيه، من أعيان الجزائر، من كتبه: الجَواهِر الحِسَان، والذَّهب الإبريز، والأنوار، توفي سنة خمس وسبعين وثمان مائة.

انظر: الضوء اللامع (١٥٢/٤) رقم (٣٩٣)، الأعلام (٣٣١/٣).

(٥) سورة المائدة، الآية: ٦٤.

(٦) المحرر الوجيز (٢١٥/٢)، تفسير البحر المحيط (٥٣٥/٣)، تفسير الثعالبي (٤٧٤/١).

(٧) روح المعاني (١٨١/٦).

(٨) محمد بن علي بن الحَسَن التِّرمِذِيّ، أبو عبد الله، المعروف بالحَكِيم، له المصنّفات الكبار في أصول الدين، ومعاني الحديث، منها: نوادر الأصول، توفي نحو سنة عشرين وثلاث مائة.

انظر: تذكرة الحفاظ (٦٤٥/٢) رقم (٦٦٨)، الأعلام (٢٧٢/٦).

(٩) سورة المائدة، الآية: ٦٤.

(١٠) مسالك المتكلّمين في ردّ الأحاديث والآثار ص (١١٣٨)، رسالة دكتوراه، لصادق سليم.

(١١) محمد بن أحمد بن سالم السَّفَارِينِيّ، أبو العَوْن، عالم بالحديث والأصول والأدب، وُلِد في سَفَارِيْن من قُرَى نَابُلُس، من كتبه: كشْفُ اللِّثَام، ولوامع الأنوار، توفي سنة ثمان وثمانين ومائة وألف.

انظر: سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر (٣١/٤)، الأعلام (١٤/٦).

المراد باليدَينِ إثباتُ صفتَينِ ذاتيَّتَينِ تُسَمَّيَان يدَيْنِ تزيدانِ على النِّعمة والقُدْرة ..." (١). اهـ.

٢- أنّهم يرُدُّونَ أقوالَهم إذا كان فيها إثباتُ إحدى الصّفات التي ينْفُونها، فمثلاً: صفةُ الاستواء، فقد رُوِي عن ابن عباس ﷺ أنّه فسَّرَ (استوَى) بصَعَدَ واستَقَرَّ وارْتَفَعَ (٢).

وإذا رَجعْنا إلى تفسير النّسَفِي (٣) رأَينا أنّه يرُدُّ هذا التفسير؛ لما فيه من إثبات صفة الاستِواء حيثُ يقولُ: "وتفسيرُ العرش بالسَّرير والاستِواء بالاستقرار كما تقولُه المشَبِّهَة (٤) باطل؛ لأنّه تعالى كان قبلَ العرش ولا مكان، وهو الآن كما كان؛ لأنّ التَّغَيُّر من صفاتِ الأَكْوَان (٥)" (٦). اهـ.

"**والقول الفاصل**: هو ما عليه الأمّة الوسط من أنّ الله مُستَوٍ على عرشه استواءً يليقُ بجلالِه ويَختَصُّ به، فكما أنّه موصوف بأنّه بكلّ شيء عليم، وعلى كلّ شيء قدير، وأنّه سميع بصير، ونحو ذلك، ولا يجوزُ أن يَثْبُتَ للعلم والقدرة خصائصُ الأَعْرَاض (٧) التي لعِلْم المخلوقينَ

---

(١) لوامع الأنوار (٢٣١/١).

(٢) انظر: تهذيب اللغة (صعد) (٨٥/١٣)، الأسماء والصفات للبيهقي (٣١٠/٢)، تفسير البغوي (٥٩/١).

(٣) عبد الله بن أحمد بن محمود، أبو البَرَكَات النَّسَفِيّ، صاحبُ التفسير المشهور بتفسير النَّسَفِيّ، وله تصانيف كثيرة في الأصول والفقه، توفي سنة عشر وسبع مائة، وقيل: غير ذلك.
انظر: الجواهر المضيئة (٢٧٠/١) رقم (٧١٩)، الفوائد البهية ص (١٠١).

(٤) المشَبِّهَة في عرف السلف: يُطلَقُ على من قاسَ صفاتِ الله تبارك وتعالى على صفاتِ خلقه، أمّا المبتَدعَة فيُطلِقُون لقبَ (المشَبِّه) على من أثبَتَ بعضَ الصّفات أو كلَّها بدعوى أنّ العبد موصوف بهذه الصفات، ومن هذا الوجه إطلاقُ النسفيّ لهذا اللّفظ هنا.
انظر: منهاج السنة (١١١/٢).

(٥) الأَكْوَان: جمع الكَوْن، والكَوْن: الحَدَث.
انظر: تهذيب اللغة (كون) (٢٠٥/١٠)، الصحاح (كون) (٢١٩٠/٦).
قال الجُرجَانيّ في التعريفات ص (٢٤١): "هو اسمٌ لما حَدثَ دُفْعَةً، كانقلابِ الماء هواءً، فإن الصّورة الهوائيّة كانتْ ماءً بالقُوَّة، فخرجَتْ منها إلى الفعل دُفْعَةً، فإذا كان على التدريج فهو الحَرَكة". اهـ.

(٦) تفسير النسفي (٥٦/٢).

(٧) الأَعْرَاض: جمع العَرَض، والعَرَض - بالتحريك - عند المتكلّمين: هو ما لا يقومُ بذاتِه، أو الموجود الذي يحتاج في وجوده إلى موضع أي محلّ، كاللّون المحتاج في وجودِه إلى جسم يحُلُّه، ويقومُ به.
انظر: التعريفات ص (١٩٢)، الكلّيات للكفوي ص (٦٢٥).

وقُدرتهم، فكذلك هو سبحانه فوقَ العرْش، ولا يَثْبُتُ لفوقِيَّتِه خَصَائِصُ فوقيَّة المخلوق على المخلوق، ولوازِمُها" (١).

مثال آخر: صفةُ السَّاق، فقد رُوِي عن ابن مسعود ﷺ في تفسير قوله تعالى: ﴿**يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ**﴾ (٢) أنّه قال: عن سَاقَيْهِ تبارك وتعالى (٣).

وإذا رَجَعْنا إلى تفاسيرهم رَأَيْنا أنّهم يرُدُّونَ هذا المعنى؛ لما فيه من إثبات صفةٍ لا يُثْبِتُونها.

قال الرَّازِي (٤) مُبَيّناً الوجوهَ في تفسير السَّاق: "والقول الرابع: وهو اختيارُ المشَبِّهَة، أنّه ساقُ الله، تعالى الله عنه ...، واعلمْ أنّ هذا القولَ باطل ..." (٥). اهـ.

قال القُرطُبِيّ: "فأمّا ما رُوِي أنّ الله تعالى يَكْشِفُ عن سَاقِه فإنّه ﷻ يتعَالَى عن الأعضاء والتبعيض، وأن يَكشِفَ ويتَغَطَّى، ومعناه: أن يَكشِفَ عن العظيم من أمرِه، وقيل: يَكشِف عن نوره ﷻ" (٦). اهـ.

قال النَّسَفِي:" والجمهورُ على أنّ الكشْفَ عن السَّاق عبارةٌ عن شدَّة الأمر وصُعوبةِ الخَطْب، فمعنى ﴿**يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ**﴾ (٧): يومَ يشتَدُّ الأمر ويَصْعُب، ولا كَشْفَ ثَمَّة ولا ساقَ، ولكن كَنَّى به عن الشِّدَّة؛ لأنّهم إذا ابْتُلُوا بِشدَّة كَشَفُوا عن السَّاق ..." (٨). اهـ.

والحقّ مذهبُ أهل السنّة والجماعة من إثباتِ هذه الصّفة لله ﷻ كما يليقُ به جلَّ وعلا؛ فقد وردَ إثباتُها في الحديث الصحيح المفَسِّر للقرآن، وهو حديثُ أبي سعيد الخُدْرِي ﷺ (١) في الصّحيحين، وفيه: فيَكشِفُ الربُّ عن ساقِه (٢).

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية (٥/٢٨).

(٢) سورة القلم، الآية: ٤٢.

(٣) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢/٣١٠)، ابن منده في الردّ على الجهمية ص (١٦).

(٤) محمد بن عُمَر بن الحُسَين القُرَشيّ البَكْرِيّ الطَّبَرِستَانِيّ، أبو بكر الرَّازِي، الأصولي، المفسِّر، المتكلِّم، له مؤلفات كثيرة، منها: التفسير الكبير، والمحصول، وشرح الأسماء الحسنى، توفي سنة ست وست مائة.
انظر: وفيات الأعيان (٤/٢٤٨) رقم (٦٠٠)، طبقات الشافعية للسُّبكِي (٨/٨١) رقم (١٠٨٩).

(٥) تفسير الرازي (٣٠/٨٤).

(٦) تفسير القرطبي (١٨/٢٤٩).

(٧) سورة القلم، الآية: ٤٢.

(٨) تفسير النسفي (٤/٢٨٣).

أمّا القولُ بأنَّ المراد بالآية الكشْفُ عن الشِّدَّة فرُوِيَ عن بعضِ السلف من الصحابة والتابعين (٣)، لكنَّهم لم يُنكِرُوا هذه الصفةَ كما أنكَرَ هؤلاء، بل هم على إثباتها؛ لورُودِها في الحديث الصحيح، فأثبَتُوا الصفةَ بالسنّة مع ترجيحِهم أنّ للآية معنىً آخر؛ وذلك "أنّ ظاهر القرآن – عندهم – لا يدلُّ على أنّ هذه من الصفات؛ فإنّه قال: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾ (٤) نكرةٌ في الإثبات، لم يُضِفْها إلى الله، ولم يقُلْ: عن ساقه، فمع عدم التعريف بالإضافة لا يَظهَر أنّه من الصِّفات إلا بدليلٍ آخر" (٥).

٣- أنّهم يذكُرُونَ أقوالهَم، ثمّ يُؤَوِّلُونها تأويلاً باطلاً حتَّى تَتَّفِقَ مع مُعتقَداتِهم.

فمثلاً: قال السَّمَرقَنْديّ (٦) عند قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ (٧): "ويُقال: ثم صَعَدَ أمرُه إلى العرش، وهذا معنى قول ابن عباس، قال: صَعَدَ على العرش، يعني: أمْرُه" (٨). اهـ.

ذكرَ أولاً قولَ ابن عباس ﷺ، ثمّ ذهبَ إلى تأويله بالمعنى الباطل، وما ذلك إلا لنَفْيِه عن الله ﷻ صفتَي الاستواءِ والعُلُوّ.

---

(١) سَعْد بن مالِك بن سِنَان الأنصاريّ الخَزرَجِيّ، أبو سَعِيد الخُدْرِيّ، كان من ملازمي النبيّ ﷺ، ورَوَى عنه أحاديث كثيرة، توفي سنة أربع وستين، وقيل: غير ذلك.
انظر: سير أعلام النبلاء (١٦٨/٣)، الإصابة (٧٨/٣) رقم (٣١٩٨).

(٢) أخرجه البخاريّ في صحيحه/ كتاب: التوحيد/ باب: قول الله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾/ رقم (٧٠٠١)، مسلم في صحيحه/ كتاب: الإيمان/ باب: معرفة طريق الرؤية/ رقم (١٨٣).

(٣) كابن عباس ﷺ، ومجاهد وقتادة وسعيد بن جبير وغيرهم.
انظر: تفسير الطبري (٥٥٤/٢٣)، تفسير ابن أبي حاتم (٣٣٦٦/١٠)، رقم (١٨٩٥٦)، الدر المنثور (١٤/ ٦٤٣-٦٤٧).

(٤) سورة القلم، الآية: ٤٢.

(٥) مجموع فتاوى ابن تيمية (٣٩٤/٦).

(٦) نَصْر بن محمد بن أحمد، أبو اللَّيْث السَّمَرقَنْدِيّ، من أئمّة الحنفيّة، له تصانيف منها: تفسير القرآن، وكتاب النوازل في الفقه، وتنبيه الغافلين، توفي سنة ثلاث وسبعين وثلاث مائة.
انظر: الجواهر المضيئة (١٩٦/٢) رقم (٦١٠)، تاج التراجم (٣١٠/١).

(٧) سورة الأعراف: ٥٤.

(٨) تفسير السمرقندي (٥٣٧/١).

مثال آخر: رُوِي عن ابن عباس ﷺ في قوله تعالى: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ﴾ (١) قال: أنّه اللهُ تعالى (٢).

وقد ذَكَرَ هذا القولَ أبو السَّعُود (٣) في تفسيره، لكنّه لم يحْمِلْه على ظاهره، بل ذهبَ إلى التأويل، فقال: "﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾، أي: الملائكة المُوَكَّلِين بتدبيرِ هذا العالم، أو الله سبحانه على تأويل (من في السماءِ أمرُه وقضاؤُه)، أو على زعْم العرب حيثُ كانوا يَزعُمُون أنّه تعالى في السماء، أي: أَأَمِنْتُم من تزْعُمُون أنّه في السماء، وهو مُتَعالٍ عن المكان" (٤). اهـ.

والذي حمَلَه على هذا التأويل الفاسد هو نفيُه عن الله ﷻ صفةَ العلوّ.

والقول الحقّ فيها قولُ أهل السنة والجماعة، وهو إثبات هذه الصفة لله ﷻ كما يليقُ به، وأنّه تعالى فوق سماواته على عرشه بائنٌ من خلقه.

قال ابنُ تيمية: "القول بأنّ الله تعالى فوق معلومٌ بالاضْطرار من الكتاب والسنّة وإجماع سلف الأمة ...، بل نصوصُ العُلُوّ قد قيل: أنّها تبلُغُ مِئِيْنَ من المواضع، والأحاديث عن النبيّ ﷺ والصحابة والتابعين متواترةٌ موافقة لذلك" (٥). اهـ.

٥- أنّهم يذكُرُون أقوالَهم، ويحتَجُّون بها في المسائل التي وافَقُوا فيها أهلَ السنّة ظاهراً (٦).

فمثلاً: رُؤْية المؤمنين لربِّهم يومَ القيامة، فقد ذكرُوا فيها أقوالَ الصحابة، واحتَجُّوا بها على إثباتها.

---

(١) سورة الملك، الآية: ١٦.

(٢) انظر: تفسير الماوردي (٥٥/٦)، زاد المسير (٣٢٢/٨).

(٣) محمد بن محمد بن مُصطفَى العِمَادِيّ الحنفي، أبو السعود، من علماء التُّرْك، له مؤلفات، منها: التفسير المعروف باسمه، توفي سنة اثنتين وثمانين وتسع مائة.
انظر: الفوائد البهية ص (٨١)، الأعلام (٥٩/٧).

(٤) تفسير أبي السعود (٧/٩).

(٥) درء التعارض (٢٦/٧).

(٦) وفي الحقيقة خالفُوهم في تلك المسائل، فمثلاً: الرُّؤْيَة، فكونُ الله يُرَى بجِهَةٍ من الرَّائِي ثابتٌ بإجماعِ السلف والأمّة، ونصوصُهم في ذلك متواترةٌ، وهؤلاء المبتَدِعة لما أثبَتُوا الرُّؤْيَة مع نفيِهم لصفةِ العلوّ والاستواء وقَعُوا في التناقُض، فحاوَلُوا الجمْعَ بين الأمرَين، فقالوا: رُؤْية بلا جِهَةٍ، ولا ثُبوتِ مَسافَةٍ.
انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية (٨٢/١٦- ٨٩).

قال النَّسَفِيّ في تفسير قوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ (١) : "(وَزِيَادَةٌ) رُؤْية الرّبّ ﷻ، كذا عن أبي بكر وحُذَيفَة (٢) وابن عباس وأبي موسى الأَشْعَرِي (٣) وعُبَادَة بن الصَّامِت (٤) ﷺ ..." (٥). اهـ.

وقال الأَلُوسِيّ (٦): "(وَزِيَادَةٌ) وهي النظر إلى وجهِ ربهم الكريم جلّ جلاله، وهو التفسير المأثور عن أبي بكر وعليّ (٧) – كرَّمَ اللهُ تعالى وجْهَه (٨) – وابن عباس وحُذَيفَة وابن مسعود وأبي مُوسى الأَشْعَرِي ..." (٩). اهـ.

ومما يدلُّ على أنّ موافقَتَهم هذه لأهل السنة في الظاهر فقط أنّهم خالفُوهم في كيفيّة الإثبات وحقيقته، فقالوا: رُؤْية بلا جِهةٍ.

---

(١) سورة يونس، الآية: ٢٦.

(٢) حُذَيفَة بن اليَمَان العَبْسِيّ، حليفُ الأنصار، من السابقين، صحابيٌّ جليل، وأبوه صحابيٌّ أيضاً، توفي في أوّل خلافة عليّ ﷺ سنة ست وثلاثين.

انظر: سير أعلام النبلاء (٣٦١/٢)، الإصابة (٤٤/٢) رقم (١٦٤٩).

(٣) عبدُ الله بن قَيْسٍ بن سُلَيْمٍ، أبو مُوسى الأَشْعَرِيّ، قَدِمَ مكّة عند ظهور الإسلام، فأسلَمَ، وهاجَرَ إلى أرض الحَبَشَة، وكان أحسنَ الصّحابة صوتاً في التلاوة، توفي سنة أربع وأربعين، وقيل: غير ذلك.

انظر: الطبقات الكبرى (١٠٥/٤)، غاية النهاية (٤٤٢/١) رقم (١٨٥١).

(٤) عُبَادَةُ بن الصَّامِت بن قَيْسٍ الأَنْصَارِيّ الخَزْرَجِيّ، أبو الوَلِيد المَدَنِيّ، أَحَدُ النُّقَبَاء، من أعيان البَدْرِيِّين، شَهِدَ المشَاهدَ كلَّها مع رسول الله ﷺ، توفي سنة أربع وثلاثين، وقيل: غير ذلك.

انظر: سير أعلام النبلاء (٥/٢)، الإصابة (٦٢٤/٣) رقم (٤٥٠٠).

(٥) تفسير النسفي (١٦٠/٢).

(٦) محمُود بن عبد الله الحُسَيْنِيّ الأَلُوسِيّ، أبو الثَّناء، من كبارِ المفسرين، من كتبه: روح المعاني، ودقائق التفسير، وغرائب الاغتراب، توفي سنة سبعين ومائتين وألف.

انظر: الأعلام (١٧٦/٧)، أعلام العراق ص (٢٥).

(٧) عليّ بن أبي طالب بن عبد المطلب، أبو الحسن الهاشِمِيّ، أميرُ المؤمنين، أحدُ السابقين إلى الإسلام، وأحدُ العشرة المشهود لهم بالجنّة، توفي سنة أربعين.

انظر: أسد الغابة (١٠٠/٤) رقم (٣٧٧٥)، معرفة القرّاء الكبار (٢٥/١).

(٨) تخصيص علي ﷺ بهذا الدعاء من غُلُوّ الشيعة فيه، والمشروع أن يُقال في حقّه وحقّ غيره من الصحابة الكرام:ﷺ.

انظر: فتاوى اللجنة الدائمة (١٠٠/٣) و(٤٣/٢٦).

(٩) روح المعاني (١٠٢/١١).

قال ابنُ عطيّة عند قوله تعالى: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ (١): "حملَ هذه الآية أهلُ السنّة على أنّها مُتضَمِّنةٌ رؤيةَ المؤمنين لله تعالى، وهي رُؤْيةٌ دونَ مُحاذاةٍ، ولا تَكْييفٍ، ولا تحديدٍ" (٢). اهـ.

قال النسفيّ في تفسير قوله تعالى: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾: "بلا كيفيّةٍ، ولا جِهةٍ، ولا ثُبوتِ مسافةٍ" (٣). اهـ.

○○○○○

(١) سورة القيامة، الآيتين: ٢٢- ٢٣.

(٢) المحرر الوجيز (٥/٤٠٥).

(٣) تفسير النسفي (٤/٣١٥).

المبحث الثالث: عبد الله بن الزبير ﷺ، ومكانته في التفسير:

المطلب الأول: اسمه ونسبه، ومولده:

أولاً: اسمه ونسبه:

عبدُ الله بن الزبير بن العوَّام بن خُوَيلِد بن أسَد بن عبد العُزَّى بن قُصَيّ بن كِلاب بن مُرَّة القُرَشيّ الأسَديّ المكِّيّ، أحدُ العبادِلَة الأربعة (١)، وأحدُ الشُّجْعان من الصّحابة، وأحدُ من وِلِيَ الخِلافةَ منهم، يَلتَقي مع النبيّ ﷺ في قُصَيٍّ.

يُكنَّى بأبي بكر، بكُنْيةِ جدِّه أبي بكر الصِّديق ﷺ، فعن عبد الله بن الزبير ﷺ قال: سُمِّيتُ بِاسْمِ جدِّي، وكُنِّيتُ بِكُنْيتِه (٢)، ويُقال: أبو خُبَيبٍ، باسْمِ أكبَرِ أولادِه (٣).

أبوه: الزُّبير بن العَوّام بن خُوَيلِد بن أسَد بن عبد العُزَّى بن قُصَيّ بن كِلاب بن مُرَّة القُرَشيّ الأسَديّ، ابنُ عمَّةِ رسولِ الله ﷺ صفيّة بنت عبد المطَّلب رضي الله عنها (٤)، وابنُ أخي

---

(١) هم: عبد الله بن عمرو بن العاص، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن الزبير، وعبد الله بن عمر ﷺ.
انظر: تهذيب الأسماء (٢/٢٦٧).

(٢) الكنى والأسماء للدولابي (١/١٩٣).

(٣) انظر: الكنى والأسماء لمسلم (١/١١٣)، الكنى لابن منده ص (١٠٨).
وانظر في ترجمته: التاريخ الكبير (٥/٦)، ثقات العجلي (٢/٢٩) رقم (٨٨٥)، الجرح والتعديل (٥/٥٦) رقم (٢٦١)، مشاهير علماء الأمصار لابن حبّان ص (٣٠) رقم (١٥٤)، طبقات المحدثين لأبي الشيخ (١/١٩٥)، الكنى لابن منده ص (١٠٧) رقم (٦٧٢)، رجال صحيح البخاري (١/٣٨٧) رقم (٥٤٧)، معرفة الصحابة لأبي نعيم (٣/١٦٤٥)، حلية الأولياء (١/٣٢٩)، تاريخ أصبهان (١/٧٢)، الاستيعاب (٣/٩٠٥) رقم (١٥٣٥)، طبقات الفقهاء للشيرازي ص (٣٢)، تاريخ دمشق (٢٨/١٤٠) رقم (٣٢٩٧)، أسد الغابة (٣/٢٤٥) رقم (٢٩٣٦)، تهذيب الأسماء للنووي (٢/٢٦٦) رقم (٢٩٧)، وفيات الأعيان (٣/٧١) رقم (٣٤٠)، تهذيب الكمال (١٤/٥٠٨) رقم (٣٢٦٩)، سير أعلام النبلاء (٣/٣٦٣)، فوات الوفيات (١/٥٣١) رقم (٢١٩)، البداية والنهاية (٨/٣٣٢)، الكاشف (١/٥٥٢) رقم (٢٧٢٠)، غاية النهاية (١/٤١٩) رقم (١٧٧١)، الإصابة (٤/٨٩) رقم (٤٦٨٥)، تهذيب التهذيب (٥/١٨٧) رقم (٣٧٢)، التقريب رقم (٣٣١٩)، تاريخ الخلفاء للسيوطي ص (٢١١)، طبقات المفسرين للأدنه وي ص (٥) رقم (٤)، الأعلام (٤/٨٧)، عبد الله بن الزبير وأسرته، لمحمود شاكر.

(٤) صَفِيّة بنت عبد المطَّلِب بن هاشِم القُرَشِيّة الهاشِميّة، أسلمتْ قبلَ الهِجْرة، وهاجرتْ إلى المدينة، وتُوفِّيتْ في خلافة عمر بن الخطاب ﷺ سنة عشرين.
انظر: الطبقات الكبرى (٨/٤١)، الأعلام (٣/٢٠٦).

خَديجَة بنت خُوَيلِد – رضي الله عنها – (١) زوجِ النبيّ ﷺ، أحدُ العشْرة المشهودُ لهم بالجنّة، وأحدُ السِتَّة (٢) أصحابِ الشّورى الذين جعلَ عمرُ ﷺ الخِلافةَ في أحدِهم، حواريّ (٣) رسولِ الله ﷺ (٤)، وهو أوّلُ من سَلَّ سيْفاً في سبيلِ الله (٥).

وأمّه: أسماء بنت عبد الله بن عُثمان بن عامِر بن عَمْرو بن كَعْب بن سَعْد بن تَميم بن مُرَّة، أختُ أمِّ المؤمنين عائشة – رضي الله عنها – (٦) لأبيها، وشقيقةُ عبد الله بن أبي بكر الصديق ﷺ (٧)، من أوائلِ المسلماتِ، وآخر المهاجرينَ والمهاجراتِ وفاةً، بايعَتْ رسولَ الله ﷺ، شهِدَتِ اليرمُوكَ مع زوجِها الزبير ﷺ، تُعرَفُ بذاتِ النِّطاقَينِ؛ لأنّها شقَّتْ نطاقَها قسمَينِ، جعلَتْ أحدَهما لنَفسِها، وربَطَتْ بالآخَر طعامَ رسولِ الله ﷺ وأبيها ليلةَ الهجْرة (٨).

وخالتُه: عائشة بنت أبي بكْر الصّدِّيق، أمُّ المؤمنينَ، لم تكُنْ قد رُزِقَتْ أولاداً، فأصبَحَ كأنّه

---

(١) خَديجة بنت خُويلِد بن أسَد القُرَشيّة الأَسَديّة، أمّ المؤمنين، أوّلُ امْرأةٍ تزوَّجَها رسولُ الله ﷺ، وأوّلُ من صدَّقَتْ بِبعثَتِه مُطلقًا، توفيت قبلَ الهِجْرة بثلاث سنين، وقيل: غير ذلك.

انظر: الاستيعاب (١٨١٧/٤) رقم (٣٣١١)، الإصابة (٦٠٠/٧) رقم (١١٠٨٦).

(٢) وهم: عثمان وعليّ وطلحة والزبير وسعد وعبد الرحمن بن عوف ﷺ.

انظر: تهذيب الأسماء (١٩٤/٢).

(٣) حواريٌّ: ناصر، وقيل: خاصَّة.

انظر: شرح صحيح مسلم للنووي (١٨٩/١٥)، القاموس المحيط (حور) ص (٤٨٧).

(٤) أخرج الشيخانِ من حديث جابر ﷺ عن النبيّ ﷺ قال: "لكل نبيٍّ حواريٌّ، وحواريَّ الزّبيرُ".

صحيح البخاري/ كتاب: أخبار الآحاد/ باب: بعث النبي ﷺ الزبير طليعةً وحدَه/ رقم (٦٨٣٣)، صحيح مسلم/ كتاب: فضائل الصحابة/ باب: من فضائل طلحة والزبير/ رقم (٢٤١٥).

(٥) انظر: الإصابة (٥٥٣/٢) رقم (٢٧٩١)، سير أعلام النبلاء (٤١/١).

(٦) عائشة بنت أبي بكر الصديق، أمّ المؤمنين، أفقَه النّساء مطلقًا، وأفضلُ أزواجِ النبيّ ﷺ إلاّ خديجة رضي الله عنها، ففيها خلافٌ شهير، توفّيتْ سنة سبع وخمسين، وقيل: غير ذلك.

انظر: التقريب رقم (٨٦٣٣)، الإصابة (١٦/٨) رقم (١١٤٥٧).

(٧) عبد الله بن أبي بكر الصديق القرشيّ التَّيميّ، أسلَمَ قديمًا، وشهِدَ الفتْحَ، وحُنَيْنًا، والطَّائفَ مع رسول الله ﷺ، تُوفِّي سنة إحدى عشرة في أوائل خلافة أبيه.

انظر: الاستيعاب (٨٧٤/٣) رقم (١٤٨٤)، تهذيب الأسماء (٢٦٢/٢) رقم (٢٨٩).

(٨) انظر: الطبقات الكبرى (٢٤٩/٨)، سير أعلام النبلاء (٢٨٧/٢).

ابنُها، وكانَ أحَبَّ البشَر إليها بعدَ النّبيّ ﷺ وأبي بكْر ﷺ (١) حتّى كنّاها رسولُ الله ﷺ بأُمِّ عبدِ الله.

أخرجَ البخاريّ في الأدب المفرد عن عائشة – رضي الله عنها – قالتْ: يا نبيَّ اللهِ، ألاَ تُكَنِّيْنِي؟ فقالَ: "اكْتَنِيْ بابْنِكِ"، يعني: عبدَ الله بن الزبير، فكانَتْ تُكَنَّى أمَّ عبدِ الله (٢).

ثانياً: مولده:

وُلِدَ في السَّنة الأولى من الهِجْرة بقُبَاءٍ (٣)، حينَما نزَلتْ به أمُّه في طريق هِجْرتها إلى المدينة، وهو أوَّلُ مولودٍ للمُهاجِرِينَ بالمدينة، حُمِلَ إلى النّبيّ ﷺ قبلَ أن تُرضِعَه أمُّه، فقبَّلَه وحَنَّكَه (٤)، فكانَ ريقُ رسولِ اللهِ ﷺ أولَّ ما دخلَ في جوفه.

ولما وُلِدَ فَرِحَ المسلمُون فرَحاً شديداً، وكبَّرُوا من شدَّة فرَحِهم تكبيرةً واحدةً حتَّى ارْتَجَّتِ المدينةُ؛ لأنّ اليَهودُ كانوا يقُولون: قد سَحَرْناهُم فلاَ يُولَدُ لهم ولدٌ، فكذَّبهمُ الله ﷻ، وطافَ به جدُّه أبو بكر ﷺ في المدينة؛ ليَشْتَهِر أمرُ ميلادِه على خلافِ ما زعَمَتِ اليهودُ (٥).

أخرَجَ الشيخانِ عن أسماء بنت أبي بكر – رضي الله عنها – أنّها حمَلَتْ بعبدِ الله بن الزبير بمكّة، قالتْ: فخَرجتُ، وأنَا مُتِمٌّ (٦)، فأتَيتُ المدينةَ، فنزَلْتُ قُباءً، فوَلَدْتُ بقُباءٍ، ثمّ أتيتُ به رسولَ الله ﷺ، فوضَعتُه في حِجْرِه (٧)، ثمّ دعَا بتَمْرةٍ، فمَضَغَها،

---

(١) انظر: صحيح البخاري/كتاب: المناقب/ باب: مناقب قريش/ رقم (٣٣١٤).

(٢) الأدب المفرد ص (٢٩٥) رقم (٨٥١)، وصحّحه الألبانيّ.

انظر: صحيح الأدب المفرد ص (٣١٧) رقم (٦٥٣).

(٣) قُبَاء – بضَمِّ القاف –: موضعٌ بالمدينة، أصلُه اسم بئْر هناك، وسُمِّيت القريةُ بها بقُباء، وهي مساكنُ بني عمْرو بن عوف من الأنصار، أقامَ به النبيّ ﷺ لما هاجَرَ يومَ الاثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس.

انظر: معجم البلدان (٣٠١/٤).

(٤) التَّحْنِيك: هو أن تَمْضُغَ التَّمْر، ثمّ تَدْلُكَه بحَنَكِ الصَّبيّ.

انظر: لسان العرب (حنك) (٤١٦/١٠)، القاموس المحيط (حنك) ص (١٢١٠).

(٥) انظر: أسد الغابة (٢٤٥/٣)، فوات الوفيات (٥٣١/١).

(٦) مُتِمٌّ، أي: مُقارِبَةٌ للوِلادَة.

شرح صحيح مسلم للنوويّ (١٢٦/١٤).

(٧) الحَجْر والحِجْرُ – بالفتح والكسر –: الحِضْنُ، والجمْع: حُجُورٌ.

انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (حجر) (٣٤٢/١)، المصباح المنير (حجر) (١٢٢/١).

ثمّ تَفَلَ (١) في فيه، فكانَ أولُ شيءٍ دخَلَ جوفَه ريقَ رسولِ الله ﷺ، ثمّ حنَّكَه بالتَّمْرة، ثمّ دعَا له، فبَرَّكَ (٢) عليه، وكانَ أوّلَ مولودٍ وُلِدَ في الإسلام، ففَرِحُوا به فَرَحاً شديداً؛ لأنّهم قيلَ لهُم: إنّ اليهودَ قدْ سحَرَتْكُم، فلاَ يُولَدُ لكُم (٣).

وقيل: إنّما كانتْ ولادتُه في شوّال سنة اثنتَينِ من الهِجْرة، والصَّحيحُ الأوّلُ؛ لما سبَقَ (٤).

المطلب الثاني: نشأته، ووفاته:

أولاً: نشأته:

نشَأَ ابنُ الزبير ﷺ عندَ خالته عائشة – رضي الله عنها – في بيتِ النبوّة، وكان مُلازِماً للدُّخول على الرسول ﷺ؛ لكونه من آله، قيل: إنّه أدْرَكَ من حياة الرسول ﷺ ثمانيةَ أعوام وأربعة أشهُر، رَوَى عنه ثلاثةً وثلاثين حديثاً (٥)، بايَعَ رسولَ الله ﷺ، وهو ابنُ سبْعِ سنين أو ثمان سنِينَ، وقد أمَرَه بذلك أبوه الزبير ﷺ، ولما رآه النبيّ ﷺ مُقبِلاً للبَيْعَة تبَسَّمَ، وبايَعَه (٦).

أتَى النبيَّ ﷺ وهو يَحتَجِمُ (٧)، فلمّا فرَغَ قال: "يا عبدَ الله، اذْهَبْ بهذَا الدّم، فأَهْرِقْه (٨) حيثُ لا يرَاكَ أحَدٌ"، فلمَّا غابَ عن رسولِ الله ﷺ عمَدَ إلى الدَّم، فشَرِبَه، فلمّا رجَعَ قالَ له: "ما صنعْتَ بالدّم؟" قال: عمَدْتُ إلى أخْفَى موضعٍ علِمْتُ، فجَعلتُه فيه، قالَ: "لعلَّكَ

---

(١) تَفَلَ يَتفُلُ تفْلاً: بَصَقَ، والتَّفْلُ: نَفْخٌ معه أدْنَى ريقٍ، فإذَا كانَ بلا ريقٍ فهو النَّفْثُ.
انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (تفل) (١٩٢/١)، لسان العرب (تفل) (٧٧/١١).

(٢) بَرَّكَ – بالتشديد –: دعَا له بالبَرَكة.
فتح الباري (٥٨٩/٩)، وانظر: لسان العرب (برك) (٣٩٥/١٠).

(٣) صحيح البخاريّ/ كتاب: العقيقة/ باب: تسمية المولود/ رقم (٥١٥٢)، صحيح مسلم/ كتاب: الآداب/ باب: استحباب تحنيك المولود/ رقم (٢١٤٦)، واللفظ للبخاري.

(٤) انظر: البداية والنهاية (٣٣٢/٨)، الإصابة (٩٠/٤).

(٥) انظر: سير أعلام النبلاء (٣٦٣/٣).

(٦) انظر: معرفة الصحابة لأبي نعيم (١٦٤٥/٣).

(٧) احْتَجَمَ: طلَبَ الحِجامَة، والحِجَامة: فعلُ الحَجّام.
انظر: لسان العرب (حجم) (١١٧/١٢)، القاموس المحيط (حجم) ص (١٤١٠).

(٨) أَهْرَقَ الماء يُهْرِقُه إهْرَاقا: إذا صَبَّه.
انظر: الصحّاح (هرق) (١٥٦٩/٤).

شَرِبْتَه؟" قال: نعَمْ، قالَ: "ولِمَ شربتَ الدَّمَ؟ وَيلٌ للنّاس منكَ، ووَيلٌ لكَ منَ النّاس" (١).

حضَرَ وقْعَةَ اليَرْموكِ مع أبيه، واشترَكَ معه في فتْح إفريقِيَةَ وبلاد المغْرِب والقُسْطَنْطِيْنِيَّة (٢)، وشهِدَ خُطبة عمرَ ﷺ بالجَابِيَة (٣)، وقدِمَ دِمَشْق لغَزْو القُسْطَنْطِيْنِيَّة أيامَ مُعاوِية ﷺ (٤)، وكان فارسَ قُريش في زَمانِه، وله مَواقِفُ مشهورة (٥).

ومن أروَعِ هذه المواقف أنّه غَزا إفريقِيَة مع عبد الله بن سعد بن أبي سَرْح ﷺ (٦) في خلافة عثمان ﷺ (٧)، فأتاهم جَرجير (٨) مِلكُ إفريقِيَة في مائة وعشرين ألفاً، وكان المسلمُون في عشرين ألفاً، فرَأى عبد الله بن الزبير ﷺ جَرجير، وقد خرجَ من عَسْكرِه،

---

(١) أخرجه ابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (٤١٤/١) رقم (٥٧٨)، أبو يعلى في مسنده كما في إتحاف الخيرة (٤٣٤/٤) رقم (٣٨٨٤)، قال البوصيريّ: "هذا إسناد حسن". اهـ.

وأخرجه الحكيم الترمذيّ في نوادر الأصول (١٨٦/١)، ابن عساكر في تاريخ دمشق (١٦٣/٢٨)، الضياء المقدسيّ في الأحاديث المختارة (٣٠٨/٩) رقم (٢٦٧).

(٢) القُسْطَنْطِينِيَّة: هي مدينة بِزَنْطِيَةَ قديمًا، أطلَقَ عليها قُسطَنْطينُ الأكبرُ اسمَه حين نقلَ دارَ ملك الروم من مدينة رُومِيَة إلى بِزَنْطِيَةَ في عهده، فتَحَها الخليفة العثمانيّ السلطان محمد الثاني عام ١٤٥٣م، وتعرَفُ الآن باسم (استانْبول).

انظر: معجم البلدان (٣٤٧/٤)، تاريخ الدولة العليّة العثمانيّة ص (١٦٠).

(٣) الجَابِيَة – بكسْر الباء، وياء مخفّفة –: موضعٌ بالشّام، وهي قرية من أعمال دِمَشْق.

انظر: معجم البلدان (٩١/٢).

(٤) مُعاوِية بن أبي سُفيان القُرَشيّ الأُمَويّ، أبو عبد الرحمن، أميرُ المؤمنين، صحابيٌّ جليلٌ، كاتبُ الوحْي، أسلَمَ قبلَ الفتْح، توفي سنة ستّين.

سير أعلام النبلاء (١١٩/٣)، الإصابة (١٥١/٦) رقم (٨٠٧٤).

(٥) انظر: تاريخ دمشق (١٤١/٢٨)، سير أعلام النبلاء (٣٦٤/٣).

(٦) عبد الله بن سعْد بن أبي سَرْح القُرَشيّ، أبو يحيى العَامِريّ، من أبطال الصّحَابة، وكانَ من كُتّابِ الوحْي، توفي سنة سبع وثلاثين، وقيل: غير ذلك.

انظر: الطبقات الكبرى (٤٩٦/٧)، الأعلام (٨٨/٤).

(٧) عثمان بن عفَّان بن أبي العاص القُرشيّ الأُمويّ، يُكَنَّى أبا عبد الله وأبا عمْرو، أميرُ المؤمنين، وأحدُ العشَرة المبشَّرين بالجنّة، توفي سنة خمس وثلاثين.

انظر: الاستيعاب (١٠٣٧/٣) رقم (١٧٧٨)، الإصابة (٤٥٦/٤) رقم (٥٤٥٢).

(٨) هو جرجوريوس القائد الإفرنجيّ، ولاّه هرقلُ – ملكُ الروم – إفريقية، وكان مُلْكُه من طرابُلُس إلى طَنْجَة.

الكامل في التاريخ (٤٨٣/٢)، الاستقصا لأخبار دول المغرب (٩٣/١).

فأخَذَ معه جماعةً من المسلمين، وقصَدَه، حتّى قتَلَه، ثمّ كان الفتْحُ على يدِه (١).

قال ابنُ كثير (٢) بعد أن ذكرَ القِصَّةَ: "فكانَ هذا أولَ موقفٍ اشتَهَرَ فيه أمرُ عبد الله بن الزبير ﷺ" (٣). اهـ.

كانَ أحدُ المدافِعينَ عن عثمان ﷺ أيّامَ حِصَاره، وجُرِحَ بِضْعَ عَشْرة جِراحَةً (٤).

شَهِد وقْعَة الجَمَل (٥) مع أبيه الزبير بن العوام ﷺ، وكان على الرَّجَّالَة (٦)، وجُرِحَ يومئِذٍ تسْعَ عشْرة جِراحةً، وقيل: بضعٌ وأربعون جِراحةً، وقيل: غير ذلك (٧).

بُويِعَ بالخِلافة سنة أربعٍ وستّين بمكّة، وقيل: سنة خمسٍ وستّين، بعدَ موت يزيد بن مُعاوية (٨)، وحكَمَ الحِجاز والعِراق واليَمَن ومصرَ وأكثرَ الشام، واتخذَ مكّةَ المكرَّمة عاصمةً له (٩).

وفي خِلافتِه جدَّدَ عِمارةَ الكَعبة، فجَعلَ لها بابَينِ على قواعد إبراهيم عليه السلام، وأدْخَلَ فيها

---

(١) انظر: الكامل في التاريخ (٤٨٣/٢)، البداية والنهاية (١٥٢/٧).

(٢) إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقيّ الشافعيّ، أبو الفِداء القُرَشيّ، الحافظ، المفسِّر، المؤرِّخ، من تصانيفه: تفسير القرآن العظيم، والبداية والنهاية، توفي سنة أربع وسبعين وسبع مائة.
انظر: ذيل تذكرة الحفاظ (٥٧/١)، الأعلام (٣٢٠/١).

(٣) انظر: البداية والنهاية (١٥٢/٧).

(٤) انظر: المرجع السابق (٣٣٦/٨).

(٥) وقْعَة الجَمَل: كانتْ في جمادى الآخرة سنة ستٍّ وثلاثين بين عائشة وطلحة والزبير ﷺ من جانب، وعليّ بن أبي طالب ﷺ من جانب آخر، وسببُها: مقتل عثمان ﷺ، والمطالَبة بدمِه، وسمِّيتْ بذلك نسبةً إلى الجَمَل الذي ركِبَتْه عائشة – رضي الله عنها – خلالَ الوقعة.
انظر: تاريخ الطبري (٤٠/٣)، الكامل في التاريخ (٩٩/٣).

(٦) الرَّجْلُ: جَماعة الرّاجِل، وهم الرَّجَّالة والرُّجَّال، وإنّما سُمُّوا رَجْلاً؛ لأنّهم يمشون على أرجُلِهم.
انظر: تهذيب اللّغة (رجل) (٢٢/١١)، مقاييس اللغة (رجل) (٤٩٢/٢).

(٧) انظر: سير أعلام النبلاء (٣٧١/٣)، البداية والنهاية (٣٣٦/٨).

(٨) يزيد بن مُعاوِية بن أبي سفيان الأمويّ، أبو خالد القُرَشيّ، تولَّى الخِلافة بعدَ وفاة أبيه سنة ستّين، ومات سنة أربع وستّين، ولم يُكْمِلِ الأربعين.
انظر: سير أعلام النبلاء (٣٥/٤)، تهذيب التهذيب (٣١٦/١١) رقم (٦٠٠).

(٩) انظر: تاريخ دمشق (١٤١/٢٨)، تاريخ الخلفاء للسيوطي ص (٢١٢).

ستّة أذْرُعٍ من الحِجْر (١)؛ لما حدَّثَتْه خالتُه عائشةُ – رضي الله عنها – عن النبيّ ﷺ (٢).

استمَرَّ ابنُ الزبير ﷺ خليفةً للمُسلمينَ إلى أن تغَلَّبَ عبدُ المِلك بن مَروانَ (٣)، وكانتْ مدةُ خلافتِه تسْعَ سنِينَ (٤).

ثانياً: وفاته:

أرسَلَ عبدُ المِلك بن مَروانَ الحجَّاجَ (٥) في أربعينَ ألفاً؛ لقتالِ ابن الزبير ﷺ، فحَصَرَه الحجَّاجُ بمكّة أشهُراً، ورمَى عليه بالمَنْجَنيق (٦) حتَّى خذَلَه أصحابُه، ولَجَئُوا إلى الحَجّاج، فظَفِرَ به، وقَتَلَه، وصَلَبه، وذلك يومَ الثلاثاء، لسبْع عشْرة خلَتْ من جُمادَى الأُولى، وقيل: جُمادَى الآخِرة، سنةَ ثلاثٍ وسَبعينَ، والمشهورُ الصّحيحُ هو الأوّل (٧).

---

(١) الحِجْر – بكسْر الحاء، وسكون الجيم –: الحائط المستَدير تحتَ ميزاب الكعبة، ويُقال له: الحَطيم.
انظر: الصحاح (حجر) (٦٢٣/٢)، النهاية في غريب الحديث والأثر (حجر) (٣٤١/١).

(٢) تاريخ الخلفاء للسيوطي ص (٢١٢)، وانظر: السلوك في طبقات العلماء والملوك (١١٦/١).
وما حدَّثَتْه عائشة – رضي الله عنها – مخرَّجٌ في صحيح مسلم، فعن عبد الله بن الزبير يقول: حدَّثَتْني خالتي، يعني: عائشة قالتْ: قالَ رسولُ الله ﷺ: "يا عائشةُ، لولاَ أنّ قومَكِ حديثُو عهْدٍ بشرْكٍ لهدَمْتُ الكَعبةَ، فألْزَقْتُها بالأرض، وجعَلتُ لها بابَينِ: بابًا شرقيّاً وبابا غربيّاً، وزِدْتُ فيها ستَّةَ أذرُعٍ من الحِجْر؛ فإنَّ قُريشًا اقتَصَرَتْها حيثُ بنَتِ الكَعبةَ".
صحيح مسلم/ كتاب: الحج/ باب: نقض الكعبة وبنائها/ رقم (١٣٣٣).

(٣) عبد المِلك بن مَروان بن الحَكَم، أبو الوَليد المدنيّ، الخليفة الأُمويّ، ملَكَ ثلاث عشْرة سنةً استقلالاً، وقبلَها مُنازِعًا لابن الزبير ﷺ تسْعَ سنين، توفي سنة ست وثمانين.
انظر: التقريب رقم (٤٢١٣)، تاريخ الخلفاء للسيوطي ص (٢١٤).

(٤) انظر: أسد الغابة (٢٤٧/٣)، تاريخ الخلفاء للسيوطي ص (٢١٢).

(٥) الحجّاج بن يوسف بن الحَكَم, أبو محمد الثّقَفيّ, الأميرُ الشهيرُ، الظالمُ المبيرُ، ولاَّه عبدُ الملك بن مروان الحجازَ، فقتلَ ابنَ الزبير ﷺ، ثمّ عزَلَه عنها, ثمّ ولاّه العراقَ, توفي سنة خمس وتسعين.
انظر: تهذيب الأسماء للنووي (١٥٣/١) رقم (١١٣)، التقريب رقم (١١٤١).

(٦) المَنْجَنيقُ والمِنْجَنيقُ – بفتح الميم وكسرها –: آلَةٌ قديمة كانتْ تُرْمَى بِها الحِجارةُ على العدوّ، والجمْع: مَنْجَنيقات ومَجَانِق ومَجَانيق.
انظر: الصحاح (جنق) (١٤٥٥/٤)، القاموس المحيط (جنق) ص (١١٢٦).

(٧) انظر: تاريخ دمشق (١٤٦/٢٨)، تهذيب الكمال (٥١١/١٤)، البداية والنهاية (٣٤٢/٨).

المطلب الثالث: مناقبه:

كان ابنُ الزبير ﷺ صحابيّاً جليلاً ذَا نسَبٍ نَبيلٍ، ذُكِر عند ابن عباس ﷺ، فقال: قارئٌ لكتابِ الله، عفيفٌ (١) في الإسلام، أبوه الزبير، وأمُّه أسماء، وجدُّه أبو بكْر، وعمَّتُه خديجة، وخالتُه عائشة، وجدَّتُه صَفيَّة، واللهِ، إنّي لأُحَاسِبُ له نَفسِي مُحاسَبَةً لمْ أُحاسِبْ بها لأبي بكْر وعُمر (٢).

وكان معاوية ﷺ إذا لَقِيَ ابنَ الزبير ﷺ يقولُ: مرْحَباً بابْنِ عمّةِ رسولِ الله ﷺ، وابن حواريّ رسولِ الله عليه السلام، ويأمُرُ له بمئة ألفٍ (٣).

وكان لهذا النسب أثرٌ بارزٌ على شخصيَّته من جميع النواحي، وفيما يلي أبرَزُ مناقبِ هذا الصحابيّ الجليل، وهي:

أولاً: عبادته:

كان ابنُ الزبير ﷺ كثيرَ العِبادة من صلاةٍ وصيامٍ وغيرها، وقد شهِدَ بذلك غيرُ واحدٍ من الصّحابة والتابعين.

عن مجاهد قال: ما كان بابٌ من العِبادة يَعْجِزُ عنه النّاسُ إلاّ تكلَّفَه (٤) عبدُ الله بن الزبير، ولقد جاءَ سَيْلٌ طبَّقَ (٥) البَيْتَ، فجَعلَ ابنُ الزبير يطُوفُ سِباحَةً (٦).

عن أمّه أسماء – رضي الله عنها – قالتْ: كانَ ابنُ الزبير قوَّامَ اللّيلِ صَوّامَ النّهارِ، وكانَ

---

(١) قال العينيّ: "وأرادَ بالعِفَّة في الإسلام النَّزاهَةَ عن الأشياء التي تَشِينُ الرَّجُلَ، والعِفَّة أيضًا: الكَفُّ عن الحرام، والسؤال من النّاس". اهـ.
عمدة القاري (٢٦٨/١٨)، وانظر: لسان العرب (عفف) (٢٥٣/٩).

(٢) انظر: صحيح البخاري/ كتاب: التفسير/ باب: قوله: ﴿ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي ٱلْغَارِ﴾/ رقم (٤٣٨٧-٤٣٨٩)، تاريخ دمشق (١٦٦/٢٨).

(٣) تاريخ دمشق (١٦٦/٢٨).

(٤) تكلَّف فلانٌ الشيءَ: إذا تجَشَّمَه على مشَقَّة، وعلى خلافِ عادته.
انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (كلف) (١٩٦/٤)، لسان العرب (كلف) (٣٠٧/٩).

(٥) طَبَّقَ الغيثُ الأَرضَ: مَلَأَها وعَمَّها.
لسان العرب (طبق) (٢١٠/١٠).

(٦) تاريخ دمشق (١٧٨/٢٨)، الكامل في التاريخ (١٢٨/٤).

يُسَمَّى حَمَامَ المسجد (١).

عن عمْرو بن دينار قال: ما رَأيتُ مُصَلِّياً قَطُّ أحسَنَ صلاةً من عبد الله بن الزبير (٢).

عن مسلم بن يَنَّاق المكّي (٣) قال: رَكَعَ ابنُ الزبير يوماً رَكْعةً، فقرَأتُ البقَرةَ وآلَ عمران والنساء والمائدة، وما رَفعَ رَأسَه (٤).

عن ابن أبي مُلَيكَة قال: كانَ ابنُ الزبير يُواصِلُ سبعةَ أيّامٍ، ويُصبِحُ في اليومِ السابعِ، وهو أَلْيَثُنا (٥) (٦).

ثانياً: شجاعتُه:

كان ابنُ الزبير ﷺ نهايةً في الشُّجاعة (٧)، كان يشتَدُّ بالسيف وهو ابنُ ثلاثٍ وسبعينَ كأنّه غُلام، وكانَ فارِسَ قريشٍ في زمانه (٨).

عن عثمان بن طلَحة (٩) قال: كانَ ابنُ الزبير لا يُنازَعُ في ثلاثة: شجاعة ولا عِبادة ولا بلاغَة (١٠).

---

(١) حلية الأولياء (٣٣٥/١)، تاريخ دمشق (١٧٥/٢٨).

(٢) حلية الأولياء (٣٣٥/١)، سير أعلام النبلاء (٣٦٧/٣).

(٣) مُسلِم بن يَنَّاق الخُزاعيّ، أبو الحسَن المكيّ، تابعيّ، ثقة، روى له مسلم والنسائيّ.
انظر: تهذيب الكمال (٥٥٧/٢٧) رقم (٥٩٥٢)، التقريب رقم (٦٦٥٥).

(٤) تاريخ دمشق (١٧١/٢٨)، أسد الغابة (٢٤٦/٣).

(٥) أَلْيَثُنا: أقْوانا، فُلانٌ أَلْيَثُ أصحابِه، أي: أشَدُّهم وأجْلَدُهُم.
انظر: غريب الحديث للخطابي (٥٦٥/٢)، لسان العرب (ليث) (١٨٨/٢).

(٦) حلية الأولياء (٣٣٥/١)، سير أعلام النبلاء (٣٦٨/٣)، وقال الذهبيّ مُعلِّقًا عليه: "لعلَّه ما بلَغَه النّهْيُ عن الوِصال". اهـ.

(٧) الكاشف (٥٥٢/١) رقم (٢٧٢٠).

(٨) انظر: تاريخ دمشق (٢٢٢/٢٨)، سير أعلام النبلاء (٣٦٤/٣).

(٩) عُثمان بن طلْحَة بن أبي طلْحَة القُرشيّ، أبو عثمان العَبْدرَيّ، صحابي شهيرٌ، حاجبُ الكعبة، أسلَمَ في هُدْنة الحُديْبِيَة، شهِدَ فتح مكة، دفَعَ رسولُ الله ﷺ إليه مفتاحَ الكعبة، توفي سنة اثنتين وأربعين.
انظر: تهذيب الأسماء (٣٢٠/٢) رقم (٣٩٢)، سير أعلام النبلاء (١٠/٣).

(١٠) تاريخ دمشق (١٧٩/٢٨).

عُرِفَ بالشّجاعة منذُ صِغَره، فعن هشام بن عروة قال: إنّ أوَّلَ ما أَفْصَحَ [١] به عبدُ الله ابن الزبير وهو صغير: السَّيفُ، فكان لا يَضَعُه من فيه، وكانَ الزبير إذَا سمِعَ ذلكَ منه يقولُ له: أمَا وَاللهِ، لَيَكونَنَّ لك منه يومٌ ويومٌ وأيّامٌ [٢].

ومن الأمثلة على شجاعتِه منذُ صِباه أنّه كانَ ذاتَ يومٍ يلعَبُ مع الصّبيان وهو صبيّ، فمرَّ به رجلٌ، فصاحَ عليهم، ففَرُّوا، ومشَى ابنُ الزبير ﷺ القَهْقَرَى [٣]، وقال: يا صِبْيانُ، اجْعَلُوني أميرَكم، وشُدُّوا بِنا عليه، فَفعَلُوا [٤].

ولما حاصَرَه الحجَّاجُ كان ابنُ الزبير ﷺ يحمِلُ على المقاتِلينَ حتَّى يرُدَّهم إلى أبوابِ المسجدِ الحَرام، وهو يقولُ: لو كان قِرْني [٥] واحداً كَفَيتُه [٦]، ومن أرْوَعِ الأمثِلة على شجاعتِه قصَّتُه مع جَرْجِير ملِك إفريقية [٧].

ثالثاً: فصاحته:

كان ابن الزبير ﷺ من خُطَباء قُريش المعدُودين، سُئِل سعيد بن المسيّب [٨] عن خُطَباء قُريش في الإسلام، فعَدَّ منهم عبدَ الله بن الزبير ﷺ [٩].

ومن فصاحتِه أنّه كان من جُمْلة النَّفَرِ الذين أمرَهُم عُثمان بن عفّان ﷺ بنَسْخ القرآن في المصاحف.

---

(١) أَفْصَحَ الصبيُّ في مَنْطِقِه إفْصَاحاً: إذا فَهِمْتَ ما يقولُ في أَوّل ما يتَكلَّمُ.
انظر: تهذيب اللغة (فصح) (١٤٩/٤)، لسان العرب (فصح) (٥٤٤/٢).

(٢) تاريخ دمشق (٢٢٢/٢٨)، البداية والنهاية (٣٤٠/٨).

(٣) هو المشْي إلى خَلْفٍ من غيرِ أنْ يُعيدَ وجْهَه إلى جِهة مشْيِه.
انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (قهقر) (١٢٩/٤)، لسان العرب (قهقر) (١٢١/٥).

(٤) انظر: تاريخ دمشق (١٦٥/٢٨)، الكامل في التاريخ (١٢٨/٤).

(٥) القِرْنُ – بالكسر –: كُفْؤُك في الشّجاعة، والجمْع: أقْرَان.
انظر: لسان العرب (قرن) (٣٣٧/١٣)، القاموس المحيط (قرن) ص (١٥٧٩).

(٦) انظر: تاريخ الطبري (٥٤٠/٣)، تاريخ دمشق (٢٢٣/٢٨).

(٧) انظر: ما سبق ص (٤١).

(٨) سعيد بن المسيّب بن حَزْن المخزُوميّ القُرَشيّ، أبو محمَّد، أحدُ الفقهاء السبعة بالمدينة، توفي سنة أربع وتسعين، وقيل: غير ذلك.
انظر: الطبقات الكبرى (١١٩/٥)، وفيات الأعيان (٣٧٥/٢) رقم (٢٦٢).

(٩) انظر: تاريخ دمشق (١٧٩/٢٨).

عن أنس بن مالك ﷺ (١) أنّ عثمان بن عفّان ﷺ أمَرَ زيد بن ثابت (٢) وعبدَ الله بن الزبير وسعيدَ بن العاص (٣) وعبدَ الرحمن بن الحارث بن هِشام ﷺ (٤)، فنَسَخُوا القرآنَ في المصاحف، وقال عُثمان ﷺ للرَّهْط (٥) القُرَشيِّينَ الثلاثة: إذَا اختلَفْتُم أنتُم وزيدٌ في شيءٍ من القُرآن فاكتُبُوه بلسانِ قُريش؛ فإنّمَا نزَلَ بلِسانِهم، ففَعَلُوا (٦).

وكان يُشبِهُ جدَّه أبا بكر ﷺ في خُطبته وفصاحته، رُوِي أنّ المسلمين عند ما انتَصَرُوا على البَربَر (٧) بعثَ ابنُ أبي سَرْح ﷺ بالبِشَارة مع ابن الزبير ﷺ إلى عثمان ﷺ، فقَصَّ على عُثمان ﷺ الخبَرَ، وكيفَ جَرَى، فقال له عثمان ﷺ: إن اسْتَطَعْتَ أن تُؤَدِّيَ هذا للنّاس فوق المنبر، قال: نعَمْ، ففَعلَ، وكانَ أبوه الزبير ﷺ في جملة من حَضَر، فلمّا فرَغَ ابنُ الزبير ﷺ قال الزبير ﷺ: واللهِ، لكأنِّي أسمَعُ خُطبةَ أبي بكر الصدِّيق حينَ سمِعتُ خُطبتَكَ يا بُنَيَّ (٨).

---

(١) أنس بن مالك بن النَّضْر الخزرجيّ، أبو حمزة الأنصاريّ، خادمُ النبيّ ﷺ، وأحدُ المكثِرينَ في الرِّواية عنه ﷺ، توفي سنة ثلاث وتسعين، وقيل: غير ذلك.

انظر: سير أعلام النبلاء (٣/٣٩٥)، الإصابة (١/١٢٦) (٢٧٧).

(٢) زيد بن ثابت بن الضَّحّاك الأنصاريّ الخَزرَجيّ، أبو سعيد، وقيل: أبو خَارِجَة، كاتبُ النبيّ ﷺ، وأمينُه على الوحْي، وهو الذي كتَبَ القرآنَ في عهد أبي بكر ﷺ، توفي سنة خمس وأربعين، وقيل: غير ذلك.

انظر: الاستيعاب (٢/٥٣٧) رقم (٨٤٠)، الإصابة (٢/٥٩٢) (٢٨٨٢).

(٣) سعيد بن العاص بن سعيد القُرَشيّ، أبو عُثمان الأُمَويّ، كان عندَ وفاة النبيّ ﷺ ابنَ تسع سنين، ولِيَ إِمْرةَ الكُوفةِ لعُثمان ﷺ، والمدينةِ لمعاوِيَة ﷺ، تُوفي سنة تسع وخمسين، وقيل: غير ذلك.

انظر: أسد الغابة (٢/٤٦٠) (٢٠٧٢)، الإصابة (٣/١٠٧) (٣٢٧٠).

(٤) عبد الرحمن بن الحارث بن هِشام القُرَشيّ، أبو محمّد المخزوميّ، والدُ أبي بكر أحدِ الفُقهاء السبعة بالمدينة، توفي سنة ثلاث وأربعين.

انظر: الطبقات الكبرى (٥/٥)، الإصابة (٤/٢٩٥) رقم (٥١٠٣).

(٥) الرَّهْطُ: هم الرِّجال دونَ العشرة، وهو جمْعٌ لا واحدَ له من لفظه، وجمعُه: أَرْهُطٌ وأَرْهاطٌ وأَرَاهِطُ.

انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (رهط) (٢/٢٨٣)، لسان العرب (رهط) (٧/٣٠٥).

(٦) أخرجه البخاريّ في صحيحه/ كتاب: فضائل القرآن/ باب: جمع القرآن/ رقم (٤٧٠٢).

(٧) هو اسم جامعٌ لقبائل كثيرة تسكُنُ في بلادٍ واسعةٍ من بَرْقَة إلى آخر بلادِ المغرب والبحر المحيط، وفي الجنوب إلى بلاد السُّودان، ويقال لمجموع بلادهم: بلادُ البَربَر.

انظر: معجم البلدان (١/٣٦٨).

(٨) البداية والنهاية (٨/٣٣٥).

رابعاً: علمه وفقهه:

كان ابنُ الزبير ﷺ من علماء الصحابة وفقهائهم، ولا عجَبَ؛ فإنّه كانَ كثيرَ الدخول على خالته عائشة – رضي الله عنها – أمِّ المؤمنين، وهي العالِمة الفقيهة، وكانتْ تُحَدِّثُه (١)، وكان ابنُ الزبير ﷺ من أَحَبِّ النّاس إليها بعدَ رسولِ الله ﷺ ووالدِها أبي بكرٍ ﷺ.

حفِظَ عن النبيّ ﷺ ورَوَى ثلاثةً وثلاثين حديثاً، وقد رَوَى أيضاً عن أبيه الزبير، وجدّه أبي بكر، وأمّه أسماء، وخالته عائشة، وعمر، وعثمان ﷺ (٢).

كان أحدَ العبادلة الأربعة الذين تفَقَّهُوا في أمور الدين في المدينة، فعن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم (٣) قال: لما ماتَ العَبادِلة عبد الله بن عباس، وعبد الله بن الزبير، وعبد الله بن عمر (٤)، وعبد الله بن عمرو بن العاص، صارَ الفقهُ في جَميع البُلدان إلى الموالي (٥) (٦).

وكان أعلَمَ النّاسِ بالمَناسِك في عهدِه، فعن عبد الرحمن بن القاسم (٧) عن أبيه قال: ما كانَ أحدٌ أعلَمَ بالمناسِكِ من ابن الزبير (٨).

---

(١) عبد الله بن الزبير، لمحمود شاكر، ص (٢٠١)، وانظر: سير أعلام النبلاء (٣٦٤/٣).

(٢) انظر: سير أعلام النبلاء (٣٦٣/٣).

(٣) عبد الرحمن بن زيد بن أسلم القُرشيّ العَدَويّ مولاهم المدنيّ، كان صاحبَ قرآنٍ وتفسيرٍ، له كتاب في التفسير، وآخر في الناسخ والمنسوخ، توفي سنة اثنتين وثمانين ومائة.
انظر: سير أعلام النبلاء (٣٤٩/٨)، تهذيب التهذيب (١٦١/٦) رقم (٣٦١).

(٤) عبد الله بن عمر بن الخطَّاب القُرشيّ، أبو عبد الرحمن العَدَويّ، أحدُ المُكْثِرين في الرواية عن النبي ﷺ، شهِدَ الخنْدقَ وما بعدها، توفي سنة ثلاث وسبعين.
انظر: الطبقات الكبرى (١٤٢/٤)، الاستيعاب (٩٥٠/٣) رقم (١٦١٢).

(٥) المَوَالِي: جمْع المَوْلَى، وهو العَتيق.
انظر: المصباح المنير (ولي) (٦٧٢/٢)، لسان العرب (ولي) (٤٠٩/١٥).

(٦) طبقات الفقهاء للشيرازي ص (٣٢)، تاريخ دمشق (٤٢٦/٤٠).

(٧) عبد الرحمن بن القاسِم بن محمد بن أبي بكر الصدِّيق القُرَشيّ التَّيْميّ، أبو محمّد المدنيّ، الفقيه، قال ابنُ عيينة: "كان أفضلَ أهلِ زمانه"، مات سنة ست وعشرين ومائة، وقيل: بعدها.
انظر: سير أعلام النبلاء (٥/٦)، التقريب رقم (٣٩٨١).

(٨) طبقات الفقهاء للشيرازي ص (٣٢)، تاريخ دمشق (١٦٨/٢٨).

المطلب الرابع: مكانته في التفسير، وأشهر من رواه عنه:

أولاً: مكانته في التفسير:

كان ابنُ الزبير ﷺ عالماً بالقرآن ومعانيه (١)، وهو من الصحابة الذين اشتُهِرُوا بالتفسير.

قال السيوطيّ: "اشتُهِرَ بالتفسير من الصّحابة عشرة: الخُلفاء الأربعة وابن مسعود وابن عباس وأُبيّ بن كَعْب (٢) وزيد بن ثابت وأبو موسى الأشعريّ وعبد الله بن الزبير" (٣). اهـ.

وممّا يُبرِزُ مكانتَه في التفسير ما يلي:

١- كونُه صَحابيّاً شَهِد التنزيلَ وحَضَرَ التأويلَ، ولا تخفَى أهميّةُ معرفةِ سبب النزول في تفسير القرآن الكريم؛ فإنّه يُعينُ على فَهْم الآية فهْماً صَحيحاً (٤).

٢- كونُه من قُرَّاء الصَّحابة، وأبرَزُ دَليلٍ عليه ما ورَدَ عنه من القراءات، ذَكَرَ ابنُ عباس ﷺ ابنَ الزبير ﷺ، فقال: قديمٌ في الإسْلام، قارِئُ القُرآن ... (٥).

ولا تخفَى علاقةُ القراءات بالتفسير؛ فإنّها تُفسِّر بعضُها بعضاً، وبها يتَرَجَّحُ بعضُ الوُجوه المحتَمَلة على بعضٍ (٦).

٣- تصَدِّيه للتفسير، ورُجوعُ الناس فيه إليه، فعن محمّد بن المرتَفِع: سمعتُ ابنَ الزبير يقولُ: يا معْشَر الحاجِّ، سلُوْني، فعَلينَا كانَ التنزيلُ، ونحنُ حَضَرْنا التأويلَ، فقال له رجلٌ من أهل العِراق: دخَلَتْ في جِرَابي (٧) فَأْرَةٌ، أيَحِلُّ لي قتْلُها وأنا مُحرِمٌ؟ قالَ: اقتُلِ

---

(١) انظر: طبقات المفسّرين للأدنه وي ص (٥) رقم (٤).

(٢) أبيّ بن كَعْب بن قَيْس الأنصاريّ، أبو المنذِر الخَزْرَجيّ، سيِّدُ القُرَّاء، شَهِدَ بدْراً والمشاهِدَ بعدها، وجمَعَ القرآنَ في حياة النبيّ ﷺ، توفي سنة تسع عشرة، وقيل: غير ذلك.
انظر: الاستيعاب (٦٥/١)، الإصابة (٢٧/١) رقم (٣٢).

(٣) الإتقان في علوم القرآن (٤٩٣/٢).

(٤) انظر: مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية ص (٣٨).

(٥) غاية النهاية (٤١٩/١) رقم (١٧٧١).

(٦) انظر: الإتقان في علوم القرآن (٤٧٨/٢).

(٧) الجِرابُ: وِعاءٌ من جِلْدٍ يُحفَظُ فيه الزَّادُ ونحوه، والجمْعُ: أَجْرِبةٌ وجُرُبٌ.
انظر: شرح صحيح مسلم للنووي (١٠٢/١٢)، المعجم الوسيط (جرب) ص (١١٤).

الفُوَيْسِقَةَ (١)، قال: أخبِرْنا بالشَّفْع والوَتْر، واللَّيالي العَشْر، قالَ: (العَشْر): الثَّمانُ وعرَفةُ والنَّحْر، و(الشَّفْعُ): من تعَجَّلَ في يومَينِ فلا إثْمَ عليه، ومن تأخَّر فلا إثْمَ عليه (٢).

٤- أقوالُه في التفسير، وتنوُّعُها، فقد تيَسَّر لي - بحمد الله تعالى - جمعُ مائتَينِ وثمانية وسبعينَ قولاً، منها ما هو شرحُ غريب، ومنها ما هو تفسيرُ آيات الأحكام، ومنها ما هو قراءة، ومنها ما هو بيانُ سبب النزول، ومنها ما هو من قبيل المكّي والمدني.

٥- الرُّواة الذين تَتَلْمَذُوا عليه في التفسير، وسيأتي ذكرُ بعضٍ منهم.

٦- المصادر التي اعتَمدَ عليها في التفسير، وهي مصادرُ التفسير المعروفة لدى الصحابة: الكتاب والسنة ولُغة العرب والاجتهاد والاستنباط.

٧- اعتمادُ كثيرٍ من المفسّرين قديماً وحديثاً، والمحدثين وغيرهم على تفسيره في شرح الغريب، والقراءات، والمكي والمدني، وأسباب النزول، والأحكام، كما سيأتي.

إلى غير ذلك من الأمور التي تُبرِز مكانتَه في التفسير.

ثانياً: أشهر من رواه عنه:

ولما كان ابنُ الزبير ﷺ من الصَّحابة الذين اشتُهِرُوا بالتفسير، وكان بهذه المكانة منه، فقد رجَعَ إليه فيه كثيرٌ من التابعين، ورَوَوْه عنه، وفيما يلي أشهَرُ هؤُلاء، وهُم:

١- عروة بن الزبير:

هو عُروة بن الزبير بن العوّام بن خُويلِد القُرشيّ الأسَديّ، أبو عبد الله المدنيّ، الإمامُ، وأحدُ الفقهاء السبعة (٣) بالمدينة (٤).

---

(١) الفُوَيْسِقةُ: الفأْرَة، سُمِّيتْ بها؛ لخُروجِها من جُحْرها على الناس، وإفسادِها.
انظر: لسان العرب (فسق) (٣٠٨/١٠)، القاموس المحيط (فسق) ص (١١٨٥).

(٢) التاريخ الكبير (٣٥/٩) رقم (٣٠٣)، تاريخ دمشق (١٦٨/٢٨).

(٣) هم عروة بن الزبير، وسعيد بن المسيّب، وأبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، وعبيد الله بن عبد الله بن عُتْبة بن مسعود، وخارِجة بن زيد بن ثابت، وقاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق، وسليمان بن يسار.
انظر: تهذيب الأسماء (١٧٢/١).

(٤) انظر: الطبقات الكبرى (١٧٨/٥)، سير أعلام النبلاء (٤٢١/٤).

وُلِدَ في أوائل خلافة عثمان ﷺ سنة ثلاثٍ وعشرين (١)، حدَّثَ عن أبيه الزبير، وأخيه عبد الله ابن الزبير، وعن أمِّه أسماء، وخالتِه عائشة أمِّ المؤمنين ﷺ، ولازَمَها وتفَقَّه بها، وحدَّثَ عن غيرهم من الصحابة والتابعين، ورَوَى عنه الزهريّ وعطاء وعمْرو بن دينار وخلقٌ كثيرٌ (٢).

عن عمر بن عبد العزيز (٣): ما أحَدٌ أعْلَمَ من عُروة بن الزبير، وما أعْلَمُهُ يَعلَمُ شيئاً أجْهَلُه (٤).

عن عبد الرحمن بن حُمَيد بن عبد الرحمن (٥) قال: دخلتُ مع أبي المِسْجِدَ، فرأَيتُ الناسَ قد اجتَمَعُوا على رجُلٍ، فقال أبي: انْظُرْ من هذَا؟ فنَظَرْتُ، فإذَا هو عُروة، فأخبَرْتُه وتَعَجَّبْتُ، فقال: يا بُنَيَّ، لا تَعجَبْ، لقدْ رَأَيتُ أصحابَ رسولِ الله ﷺ يسأَلُونَه (٦).

قال ابنُ سعْد (٧): "كانَ ثِقةً، كثيرَ الحديثِ، فَقيهاً، عالماً، مأموناً، ثبْتاً" (٨). اهـ.

قال العِجْليّ (٩): "تابعيّ، ثِقة، لم يدْخُلْ في شيءٍ من الفِتَن" (١٠). اهـ.

---

(١) انظر: تهذيب الكمال (٢٢/٢٠)، سير أعلام النبلاء (٤٢٢/٤).

(٢) انظر: تهذيب الكمال (١٢/٢٠)، سير أعلام النبلاء (٤٢١/٤).

(٣) عمر بن عبد العزيز بن مروان القرشيّ الأمويّ، أميرُ المؤمنين، الخليفةُ العادلُ، توفي سنة إحدى ومائة.
انظر: سير أعلام النبلاء (١١٤/٥)، تذكرة الحفاظ (١١٨/١) رقم (١٠٤).

(٤) سير أعلام النبلاء (٤٢٥/٤).

(٥) عبد الرَّحمن بن حُميد بن عبد الرَّحْمَن بن عَوْف الْقرشِيّ الزُّهْرِيّ المدنيّ، ثقةٌ، إمامٌ، توفي سنة سبع وثلاثين ومائة.
انظر: تهذيب الكمال (٧١/١٧) رقم (٣٨٠٣)، التقريب رقم (٣٨٤٧).

(٦) سير أعلام النبلاء (٤٢٥/٤).

(٧) محمد بن سَعْد بن مَنِيع القُرَشِيّ، أبو عبد الله البَصْريّ، صاحبُ الطبقات، وأحدُ الحُفَّاظ الكِبار، عُرِف بكاتب الوَاقدي، توفي سنة ثلاثين ومائتين.
انظر: تاريخ بغداد (٣٢١/٥) رقم (٢٨٤٤)، تذكرة الحفاظ (٤٢٥/٢) رقم (٤٣١).

(٨) الطبقات الكبرى (١٧٩/٥).

(٩) أحمد بن عبد الله بن صالح الكوفيّ، أبو الحسن العِجْليّ، الإمام، الحافِظ، صاحبُ التاريخ والجرح والتعديل، كانوا يعُدُّونه مثلَ أحمد ويحيى بن معين، توفي سنة إحدى وستين ومائتين.
انظر: سير أعلام النبلاء (٥٠٥/١٢)، تذكرة الحفاظ (٥٦٠/٢) رقم (٥٨٢).

(١٠) معرفة الثقات (١٣٣/٢) رقم (١٢٢٩).

أقامَ مع أخيه عبد الله بن الزبير ﷺ بمكّة تسعَ سِنينَ، ولما قُتِلَ عبد الله بن الزبير ﷺ انتقَلَ إلى المدينة (١)، توفّي بها سنة أربع وتسعين، وقيل: غير ذلك (٢)، روى له الجماعة.

٢- مجاهد بن جبر:

هو مجاهد بن جَبْر المكّيّ، أبو الحَجَّاج المخزُوميّ مولاهم، الحافِظ، الإمامُ في التفسير والقراءات (٣).

وُلِدَ سنة إحدى وعشرين في خِلافة عُمَر ﷺ (٤)، لَزِمَ ابنَ عبّاس ﷺ مدّةً، وأخَذَ عنه التفسير والقرآن والقِراءات (٥).

عن مجاهد قال: عرَضْتُ القرآنَ على ابن عباس ﷺ ثلاثَ عَرْضَاتٍ، أقِفُ عندَ كلِّ آيةٍ أسأَلُه فيمَ نزَلتْ؟ وكيفَ كانتْ؟ (٦).

عن الفضل بن ميمون (٧) قال: سمِعْتُ مجاهداً يقولُ: عرَضْتُ القرآنَ على ابن عباس ثلاثينَ عَرضَةً (٨).

---

(١) انظر: سير أعلام النبلاء (٤/٤٣٢).

(٢) انظر: تهذيب الكمال (٢٠/٢٣)، سير أعلام النبلاء (٤/٤٣٤).

(٣) انظر: سير أعلام النبلاء (٤/٤٤٩)، معرفة القراء الكبار (١/٦٦) رقم (٢٣).

(٤) انظر: تهذيب الكمال (٢٧/٢٣٤).

(٥) انظر: سير أعلام النبلاء (٤/٤٥٠).

(٦) أخرجَه القاسم بن سَلاَّم في فضائل القرآن ص (٣٥٩)، ابن أبي شيبة في المصنف (٦/١٥٤) رقم (٣٠٢٨٧)، أحمد في فضائل الصحابة (٢/٩٥٨) رقم (١٨٦٦- ١٨٦٨)، الدارميّ في سننه (١/٢٧٣) رقم (١١٢٠)، الخلاّل في السنة (١/٢٢٣) رقم (٢٦٥)، الحاكم في المستدرك (٢/٣٠٧) رقم (٣١٠٥)، أبو نعيم في حلية الأولياء (٣/٢٧٩)، ابن عساكر في تاريخ دمشق (٥٧/٢٥).

(٧) الفضل بن ميمون، أبو اللَّيث، روى عن عكرمة ومجاهد، وروى عنه محمد بن عبد الله الأنصاريّ.
انظر: الجرح والتعديل (٧/٦٧) رقم (٣٨٣).

(٨) الطبقات الكبرى (٥/٤٦٦)، حلية الأولياء (٣/٢٨٠)، ولا منافاةَ بينَ الروايتَينِ؛ لأنّ الثانية عرضُ حفْظ، والأُولَى عرضٌ مع العلم بالتفسير.
انظر: الإسرائيليّات والموضوعات في كتب التفسير ص (٦٤) هامش (٢).

حدَّثَ عن العبادلة الأربعة، وغيرهم من الصحابة والتابعين، ورَوَى عنه قتادة (١) وعِكرمة (٢) وعطاء وخلقٌ كثير (٣).

قال قتادة: أعلَمُ من بَقِيَ بالتفسير مجاهد (٤).

قال سُفيانُ الثوريّ: إذا جاءَكَ التفسيرُ عن مجاهد فحَسْبُك به (٥).

قال ابنُ سعْد: كانَ فقيهاً، عالماً، ثقةً، كثيرَ الحديث (٦). اهـ.

قال الذهبيّ (٧): "أجمَعَتِ الأُمّة على إمامة مُجاهد، والاحتِجاج به" (٨). اهـ.

توفي بمكّة سنة أربع ومائة، وقيل غير ذلك (٩)، روى له الجماعة.

٣- عطاء بن أبي رباح:

هو عطاء بن أبي رَباح المكيّ، أبو محمّد القُرشيّ مولاهم، مُفتي الحرَم، وأحدُ الفقهاء الأئمّة (١٠)، وُلِدَ في خلافة عثمان ﷺ، وقيل: في خلافة عمر ﷺ (١١)، روَى عن العبادلة

(١) قَتادة بن دِعَامَة بن قَتادة السَّدُوسيّ، أبو الخطَّاب البَصْريّ، المفَسِّر، أحدُ كِبارِ حُفَّاظ التابعين، وأحدُ الأئمّة الأعلام، توفي سنة ثماني عشرة ومائة، وقيل: غير ذلك.
انظر: تذكرة الحفاظ (١٢٢/١) رقم (١٠٧)، التقريب رقم (٥٥١٨).

(٢) عكرمة بن عبد الله القرشيّ, أبو عبد الله المدنيّ, مولى ابن عباس ﷺ، الحبْر, الحافظ، المفسِّر, مات سنة أربع ومائة، وقيل: غير ذلك.
انظر: سير أعلام النبلاء (١٢/٥)، طبقات المفسّرين للأدنه وي (١٢) رقم (١٧).

(٣) تهذيب الكمال (٢٢٩/٢٧)، سير أعلام النبلاء (٤٥٠/٤).

(٤) سير أعلام النبلاء (٤٥١/٤)، تذكرة الحفاظ (٩٢/١).

(٥) تفسير الطبري (٩١/١).

(٦) الطبقات الكبرى (٤٦٦/٥).

(٧) محمد بن أحمد بن عثمان الذهبيّ، أبو عبد الله التُّركُمانيّ، الحافظ، المقرئ، المحدِّث، المؤرِّخ، صاحبُ التصانيف، منها: سير أعلام النبلاء، تذكرة الحفاظ، ميزان الاعتدال، توفي سنة ثمان وأربعين وسبع مائة.
انظر: طبقات الشافعية للسبكي (١٠٠/٩) رقم (١٣٠٦)، شذرات الذهب (١٥٣/٦).

(٨) ميزان الاعتدال (٢٥/٦).

(٩) انظر: الطبقات الكبرى (٤٦٦/٥)، تهذيب الكمال (٢٣٤/٢٧).

(١٠) انظر: تهذيب الكمال (٦٩/٢٠) رقم (٣٩٣٣)، سير أعلام النبلاء (٧٨/٥).

(١١) انظر: تهذيب الكمال (٦٩/٢٠)، تذكرة الحفاظ (٩٨/١).

الأربعة، وغيرهم من الصحابة والتابعين، وروى عنه قتادة وعَمْرو بن دينار والزهريّ وخلقٌ كثير (١).

قال ابنُ عباس ﷺ: يا أهلَ مكّة، تجتَمِعُون عليَّ، وعندكم عطاء؟ ورُوِي مثلُه عن ابن عمر ﷺ (٢).

أخَذَ عنه الإمامُ أبو حنيفة، وقال: ما رَأيتُ أحداً أفضَلَ من عَطاء (٣).

قال ابنُ سعْد: "كان ثِقةً، فَقيهاً، عالماً، كثيرَ الحديث ...، فانتَهَتْ فتوَى أهلِ مكّة إليه" (٤). اهـ.

قال الذهبيّ: "كانَ حُجّةً، إماماً، كبيرَ الشأن" (٥). اهـ.

توفيّ بمكّة سنة خمس عشرة ومائة، وقيل: سنة أربع عشرة ومائة (٦)، روى له الجماعَة.

٤- محمد بن عبيد الله الثقفيّ:

محمد بن عُبَيدِ الله بن سَعيد الكوفيّ، أبو عَوْن الثَّقفيّ (٧)، رَوَى عن عبد الله بن الزبير وجابر بن سَمُرَة (٨) - رضي الله عنهما -، وعبد الرحمن بن أبي لَيلَى (٩)، وغيرهم من الصحابة والتابعين، ورَوَى عنه الثوريّ وشُعبة بن الحَجّاج وأبو حنيفة وخلقٌ كثير (١٠).

---

(١) انظر: تهذيب الكمال (٧٠/٢٠)، سير أعلام النبلاء (٧٩/٥).

(٢) تذكرة الحفاظ (٩٨/١)، سير أعلام النبلاء (٨١/٥).

(٣) تاريخ دمشق (٣٨٩/٤٠)، تذكرة الحفاظ (٩٨/١).

(٤) الطبقات الكبرى (٤٦٨/٥).

(٥) ميزان الاعتدال (٩٠/٥).

(٦) انظر: الطبقات الكبرى (٤٧٠/٥)، تهذيب الكمال (٨٤/٢٠).

(٧) انظر: الطبقات الكبرى (٣١٢/٦)، تهذيب الكمال (٣٨/٢٦) رقم (٥٤٣٣).

(٨) جابر بن سَمُرَة بن جُنادَة بن جُنْدُب العامريّ، أبو عبد الله السُّوائيّ، صحابيٌّ، ابنُ صحابيٍّ، روى عدَّة أحاديث عن النبيّ ﷺ، توفي سنة ستّ وسبعين.
انظر: سير أعلام النبلاء (١٨٦/٣)، التقريب رقم (٨٦٧).

(٩) عبد الرحمن بن أبي لَيلَى الأنصاريّ، أبو عيسى الكوفيّ، الفقيه، الإمام، العلاّمة، الحافظ، التابعيّ المشهور، توفي سنة اثنتين وثمانين، وقيل: غير ذلك.
الطبقات الكبرى (١٠٩/٦)، سير أعلام النبلاء (٢٦٢/٤).

(١٠) انظر: الجرح والتعديل (١/٨)، تهذيب الكمال (٣٩/٢٦).

وثَّقَه ابنُ سعد وابنُ مَعين (١) وأبو زُرعة (٢) وغيرُهم (٣)، توفي سنة عشر ومائة، وقيل: غير ذلك (٤)، روى له الجماعة سِوَى ابن ماجه.

٥- ابنُ أبي مليكة:

هو عبد الله بن عُبَيد الله بن أبي مُلَيكَة القُرشيّ التَّيْميّ، أبو بكر، ويقال: أبو محمّد المكّيّ، الإمامُ، الحافِظ، قاضي مكّة، ومؤذِّن الحَرَم على عهْد ابن الزبير ﷺ (٥).

وُلِد في خلافة عليٍّ ﷺ أو قبْلَها (٦)، رَوَى عن ابن عباس وابن الزبير وعائشه ﷺ وغيرهم من الصحابة والتابعين، ورَوَى عنه عطاء وابنُ جُرَيج وعمْرو بن دينار وخلقٌ كثير (٧).

قال أبو زُرعَة وأبو حاتم (٨): "ثقةٌ" (٩). اهـ.

قال الذهبيّ: "كان إماماً، فقيهاً، حُجَّةً ...، متَّفَقاً على ثِقَتِه" (١٠). اهـ.

توفي سنة سبع عشرة ومائة (١١)، روَى له الجماعة.

---

(١) يحيى بن مَعين بن عَوْن الغَطَفانيّ، أبو زَكريّا البغداديّ، الحافظ، الجِهْبِذ، شيخُ المحدِّثين، إمامُ الجرح والتعديل، توفي سنة ثلاث وثلاثين ومائتين.

انظر: سير أعلام النبلاء (٧١/١١)، التقريب رقم (٧٦٥١).

(٢) عُبَيد الله بن عبد الكريم بن يزيد القُرَشيّ مولاهم، أبو زُرعَة الرازيّ، من كبار الحُفّاظ، وأئمّة الجرح والتعديل، توفي سنة أربع وستين ومائتين.

انظر: تاريخ بغداد (٣٢٦/١٠) رقم (٥٤٦٩)، تذكرة الحفاظ (٥٥٧/٢) رقم (٥٧٩).

(٣) انظر: الطبقات الكبرى (٣١٢/٦)، الجرح والتعديل (١/٨)، تهذيب الكمال (٤٠/٢٦).

(٤) انظر: تاريخ الإسلام للذهبي (٤٦٢/٧)، غاية النهاية (١٩٤/٢) رقم (٣٢٢٠).

(٥) انظر: تهذيب الكمال (٢٥٦/١٥) رقم (٣٤٠٥)، تذكرة الحفاظ (١٠١/١) رقم (٩٤).

(٦) انظر: سير أعلام النبلاء (٨٩/٥).

(٧) انظر: تهذيب الكمال (٢٥٦/١٥)، تذكرة الحفاظ (١٠١/١).

(٨) محمد بن إدريس بن المُنْذر الحنْظَليّ، أبوحاتم الرازيّ، الإمام، الحافظ، الناقد، شيخُ المحدِّثين، توفي سنة سبع وسبعين ومائتين.

انظر: تاريخ بغداد (٧٣/٢) (٤٥٥)، سير أعلام النبلاء (٢٤٧/١٣).

(٩) الجرح والتعديل (٩٩/٥).

(١٠) تذكرة الحفاظ (١٠٢/١).

(١١) انظر: تهذيب الكمال (٢٥٨/١٥)، العبر (١٤٥/١).

٦- عامر بن عبد الله بن الزبير:

هو عامر بن عبد الله بن الزبير بن العوّام الأسديّ، أبو الحارث المدنيّ، أحدُ عُبَّادِ أهل المدينة (١).

رَوَى عن أبيه عبد الله بن الزبير وأنس بن مالك - رضي الله عنهما - وجماعةٍ، ورَوَى عنه عمرو بن دينار ومالك بن أنس وابن جُريج وخلقٌ كثير (٢).

وثَّقَه ابنُ معين وأبو حاتم، وقال أحمد بن حنبل: "ثِقةٌ من أَوثَقِ النّاس" (٣). اهـ.

قال الذهبيّ: "مجمَعٌ على ثِقَتِه" (٤). اهـ.

توفي سنة إحدى وعشرين ومائة، وقيل: غير ذلك (٥)، روَى له الجماعة.

٧- عمرو بن دينار:

هو عمْرو بن دينار المكّيّ، أبو محمّد الجُمَحيّ مولاهم، الحافِظ، الإمام، عالِمُ الحَرَم، ومُفتي أهل مكّة في زمانه (٦).

وُلِدَ سنة ستٍّ وأربعين (٧)، رَوَى عن العبادِلة الأربعة وغيرهم من الصحابة والتابعين، ورَوَى عنه سعيد بن جبير وعكرمة وعطاء وخلقٌ كثير (٨).

قال سفيان بن عُيينة: ما كانَ عندَنا أحدٌ أفْقَهَ ولا أعْلَمَ ولا أحْفَظَ من عمْرو ابن دينار (٩).

وقال عنه: حدثنا عمْرو بن دينار، وكانَ ثقةً ثقةً ثقةً، وحديثٌ أسمَعُه من عمْرو أحبُّ إليّ

---

(١) انظر: تهذيب الكمال (٥٧/١٤) رقم (٣٠٤٩)، سير أعلام النبلاء (٢١٩/٥).

(٢) انظر: تهذيب الكمال (٥٧/١٤)، سير أعلام النبلاء (٢١٩/٥).

(٣) انظر: الجرح والتعديل (٣٢٥/٦).

(٤) سير أعلام النبلاء (٢٢٠/٥).

(٥) انظر: تهذيب الكمال (٥٩/١٤)، التقريب رقم (٣٠٩٩).

(٦) انظر: تهذيب الكمال (٥/٢٢) رقم (٤٣٦٠)، تذكرة الحفاظ (١١٣/١) رقم (٩٨).

(٧) انظر: تذكرة الحفاظ (١١٣/١)، الثقات لابن حبان (١٦٧/٥).

(٨) انظر: تهذيب الكمال (٦/٢٢).

(٩) تذكرة الحفاظ (١١٣/١)، تاريخ الإسلام للذهبي (١٨٨/٨).

من عشرين من غيره (١). اهـ.

قال ابنُ سعد: "كان عمْرو ثِقةً، ثبتاً، كثيرَ الحديث" (٢). اهـ.

قال النوويّ (٣): "أجمَعُوا على جَلالتِه وإمامَتِه وتوثيقِه" (٤). اهـ.

توفي سنة ستٍّ وعشرين ومائة، وقيل: غير ذلك (٥)، روَى له الجماعة.

٨- وهب بن كيسان:

هو وَهْب بن كَيْسان القُرَشيّ، أبو نُعَيم الأسَديّ، مولى لآل الزبير بن العوّام ﷺ، وقيل: مولى عبد الله بن الزبير ﷺ، من مُتْقِني أهل المدينة، الفقيه (٦).

رَوَى عن ابن عمر وابن عباس وابن الزبير ﷺ وغيرهم من الصحابة والتابعين، وعنه مالك ابن أنس وهشام بن عروة وأيّوب السَّخْتِيانيّ وآخرون (٧).

وثَّقَه ابنُ معين وأحمد بن حنبل والعِجْليّ وغيرُهم (٨).

توفي سنة سبع وعشرين ومائة، وقيل: سنة تسع وعشرين ومائة، والأوّل أشْهَر (٩)، رَوَى له الجماعة.

٩- هشام بن عروة:

هو هِشام بن عُروة بن الزبير بن العوّام القُرَشيّ الأسَديّ، أبو المنذر المدنيّ، ويقال: أبو بكر، الحافظ، الفقيه، من أئمّة الحديث، ومن عُلماءِ المدينة (١٠).

---

(١) الجرح والتعديل (٦/٢٣١)، تهذيب الكمال (٢٢/١٠).

(٢) الطبقات الكبرى (٥/٤٨٠).

(٣) يحيى بن شرف بن مُرِّيٍّ النوويّ الشافعيّ، أبو زكريا الدمشقيّ، الإمام، الحافظ، الفقيه، صاحبُ التصانيف، منها: شرح صحيح مسلم، وشرح المهذّب، ورياضُ الصالحين، توفي سنة ستٍّ وسبعين وست مائة.
انظر: تذكرة الحفاظ (٤/١٤٧٠) رقم (١١٦٢)، طبقات الشافعية للسبكي (٨/٣٩٥) رقم (١٢٨٨).

(٤) تهذيب الأسماء (٢/٢٧) رقم (١٥).

(٥) انظر: الطبقات الكبرى (٥/٤٨٠)، تهذيب الكمال (٢٢/١٢).

(٦) انظر: تهذيب الكمال (٣١/١٣٧) رقم (٦٧٦٥)، سير أعلام النبلاء (٥/٢٢٦).

(٧) انظر: تهذيب الكمال (٣١/١٣٧)، سير أعلام النبلاء (٥/٢٢٦).

(٨) انظر: معرفة الثقات (٢/٣٤٤)، الجرح والتعديل (٩/٢٣)، تهذيب الكمال (٣١/١٣٨).

(٩) انظر: تهذيب الكمال (٣١/١٣٨)، تهذيب التهذيب (١١/١٤٦).

(١٠) انظر: تاريخ بغداد (١٤/٣٧) رقم (٧٣٨٣)، تذكرة الحفاظ (١/١٤٤) رقم (١٣٨).

وُلِدَ سنة إحدى وستين (١)، رَوَى عن عمِّه عبد الله بن الزبير ﷺ، وأبيه عُروة، ووهْب بن كَيْسان وغيرهم، وروى عنه الثوريّ ومالك بن أنس وشُعبة بن الحجّاج وخلق كثير (٢).

قال ابنُ سعد: "كانَ ثِقةً، ثَبْتاً، كثيرَ الحديث، حُجَّةً" (٣). اهـ.

قال أبو حاتم: "ثقةٌ، إمامٌ في الحديث" (٤). اهـ.

قال ابنُ حبّان (٥): "كانَ حافظاً، مُتقِناً، وَرِعاً، فاضِلاً" (٦). اهـ.

توفي سنة خمس وأربعين ومائة، وقيل: سنة ستٍّ وأربعين ومائة، وقيل: غير ذلك (٧)، روى له الجماعة.

١٠- محمد بن المرتفع:

هو محمّد بن المرتَفِع بن النُّضَيْر بن الحارِث العَبْدريّ القُرشيّ المكّيّ (٨)، سمِعَ ابنَ الزبير ﷺ، ورَوَى عنه ابنُ جُريج وابنُ عيينة (٩).

قال ابنُ سعد: "ثقةٌ، قليلُ الحديث" (١٠). اهـ.

قال أحمد بن حنبل: "شيخٌ، ثقةٌ" (١١). اهـ.

ذكرَه ابنُ حبّان في الثِّقات (١٢).

---

(١) انظر: تاريخ بغداد (٣٨/١٤)، سير أعلام النبلاء (٣٤/٦).

(٢) انظر: تاريخ بغداد (٣٧/١٤)، تهذيب الكمال (٢٣٣/٣٠).

(٣) الطبقات الكبرى (٣٢١/٧).

(٤) الجرح والتعديل (٦٣/٩).

(٥) محمد بن حبّان بن أحمد الدارميّ البُسْتيّ، أبو حاتم، الإمام، العلاّمة، الحافظ، أحدُ أئمّة الجرح والتعديل، صاحبُ التصانيف، منها: المسند الصحيح، وتاريخ الثقات، والضعفاء، توفي سنة أربع وخمسين وثلاث مائة.
انظر: سير أعلام النبلاء (٩٢/١٦)، تذكرة الحفاظ (٩٢٠/٣) رقم (٨٧٩).

(٦) الثقات (٥٠٢/٥).

(٧) انظر: تاريخ بغداد (٤١/١٤)، تهذيب الكمال (٢٤٠/٣٠).

(٨) انظر: الطبقات الكبرى (٤٧٨/٥)، التاريخ الكبير (٢٢٠/١) (٦٩٢).

(٩) انظر: التاريخ الكبير (٢٢٠/١)، الجرح والتعديل (٩٨/٨).

(١٠) الطبقات الكبرى (٤٧٨/٥).

(١١) العلل ومعرفة الرجال (٣٠٩/٢)، الجرح والتعديل (٩٨/٨).

(١٢) انظر: الثقات (٣٥٩/٥) رقم (٥١٩٦).

ولم يُذْكَر تاريخُ وفاتِه فيما وقَفْتُ عليه من كُتُبِ التراجم.

○○○○○